مجلة جامعة الملك سعود، م ١٢، الآداب (١)، ص ص٨٣-١٣٩ (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

السمات الشخصية للأمير عبدالله بن بلقين (٤٦٩ - ٤٨٣ هـ/ ١٠٧٧ - ١٠٩٠م) من خلال كتابه *التبيان*

نورة بنت محمد عبدالعزيز التويجري

أستاذ مساعد، قسم التاريخ، كلية التربية للبنات،
وكالة الرئاسة لكليات البنات، الرياض، المملكة العربية السعودية

(قدم للنشر بتاريخ ١٥/ ٧/ ١٤١٧هـ، وقبل للنشر بتاريخ ١٩/ ٢/ ١٤١٨هـ)

ملخص البحث. نحاول في هذا البحث الوصول إلى معرفة بعض السمات التي تميزت بها شخصية الأمير عبدالله بن بلقين، آخر أمراء بني زيري في الأندلس، وذلك باستشفاف تلك السمات من خلال كتابه *التبيان*، الذي ألفه في منفاه في مدينة أغمات بالمغرب الأقصى. ولقد كان هدف الأمير عبدالله من تأليفه لكتابه هو بيان ما أسماه بالحادثة الكائنة بدولة بني زيري بغرناطة إبان حكمه. وقد تحدث الأمير عبدالله في كتابه بشيء من التفصيل عن أسرته وحياته الشخصية. لذلك فلعل كتابه هذا يعتبر وثيقة تاريخية هامة تعكس جوانب من الأحوال السياسية والاجتماعية في الدولة الإسلامية في الأندلس في عهد ملوك الطوائف، كما وأنه مرآة صادقة نستطيع من خلالها التعرف على عدد من الصفات المميزة لشخصية الأمير عبدالله.

وقد دعاني إلى دراسة هذه الشخصية ما يبدو من تحامل عليها من بعض المؤرخين الذين كتبوا في تاريخ الأندلس. ولعل من نافلة القول أن نشير إلى أن أحكامنا على دلالات الأخبار والأقوال الواردة في

التبيان إنما هي من اجتهادات المؤرخين الذين يصدرون أحكامهم في ضوء المعلومات التي بين أيديهم مع إدراكهم التام أن القرارات والمواقف التي تصدر عن الشخصيات ذات المسؤوليات الجسام إنما صدرت تحت تأثير عوامل مختلفة نادرًا ما تتوافر للمؤرخ .

مقدمة

كثير من الشخصيات التاريخية البارزة و التي لها دور مهم في تاريخ الدولة الإسلامية في الأندلس لا يزال يحيط بها الغموض ، مما يجعل معرفة شيء عن هذه الشخصيات أمرا مهما للباحثين و الدارسين المهتمين بتاريخ هذه الدولة . و لذلك فقد وجدت أنه من المفيد أن يكون موضوع بحثي إحدى هذه الشخصيات ، حيث تبدو أهمية هذا البحث في التعرف على جوانب من شخصية الأمير عبدالله بن بلقين بن زيري ، آخر ملوك بني زيري بغرناطة ، و ثالث ملوك تلك الدولة التي قامت في الأندلس [1] كعلم بارز من أعلام ملوك الطوائف ، لما له من دور مهم في الأحداث السياسية التي عصفت بالدولة الإسلامية في الأندلس في الفترة المظلمة من تاريخ هذه الدولة و التي عُرفت عند المؤرخين بعصر ملوك الطوائف . وذلك عن طريقين ، الأول طَريق الوقوف على الحوادث التي ذكرها الأمير عبدالله في كتابه *التبيان* و التي مرَّ بها أثناء حكمه لمملكة غرناطة ، و تصرفه تجاه تلك الأحداث مبررا موقفه من كل حادثة رغبة منه في نفي ما اتهم به من تقصير أو تخاذل تجاه أمته و رعيته وأن لا يجعل للشك موضعا في نزاهته و إخلاصه لدينه و ملته . بالإضافة لما أورده الأمير عبدالله من معلومات عن نفسه وأسرته .

و الثاني : الوقوف على ما ذكرته المصادر التاريخية التي شهد مؤلفوها ذلك العصر و عايشوا أحداثه و نقصد به عصر ملوك الطوائف بالأندلس ، و ما ذكره مؤرخون آخرون اعتمدوا في مؤلفاتهم على كتابات من سبقهم ، و ما اتهموا به أمراء ذلك العصر من تخاذل و تهاون تجاه دينهم و دولتهم ، بما فيهم الأمير عبدالله بن بلقين بصفته أحد أمراء ذلك العصر أثناء حكمه لمملكته غرناطة و ما يرد في هذه المصادر من أشعار و مقالات ذات دلالات في موضوع بحثنا هذا .

---

(١) انظر *مجلة الأندلس* ، ٤ ، ق١ (١٩٣٦م) ، ١٣٦ ؛ محمد بن عبدالله ، لسان الدين ابن الخطيب ، *الإحاطة في أخبار غرناطة* ، تحقيق عبدالله عنان ، ط٢ (القاهرة : مكتبة الخانجي ١٩٣٠م) .

و بطبيعة الحال لا يعني حديثنا عن هذه الشخصية التحامل عليها أو التقليل من شأنها عندما نتحدث عن سلبياتها ، كما أنه لا ينبغي أن يفهم من إبراز إيجابياتها التحيز لها أو الدفاع عنها .

و لعل من نافلة القول أن نشير إلى أن أحكامنا على دلالات هذه الأخبار و تلك الأقوال إنما هي من اجتهادات المؤرخين الذين يصدرون مثل تلك الأحكام في ضوء المعلومات التي بين أيديهم مع إدراكهم التام بأن القرارات و المواقف التي تصدر من الشخصيات ذات المسؤوليات الجسام و التي هي على جانب كبير من الحساسية إنما صدرت تحت تأثير عوامل مختلفة منها السياسي و منها الاجتماعي و منها النفسي ، و لذلك فإن معرفة هذه العوامل تعتبر ذات أهمية ملحوظة في تفسير الأخبار التاريخية .

كتاب *التبيان* وأهميته

و لقد اتخذنا أساسا لبحثنا كتاب *التبيان* الذي ألفه الأمير عبدالله بن بلقين في منفاه بمدينة أغمات [٢] أثناء إقامته الجبرية فيها عندما تم عزله و نفيه ، إليها على يد الأمير

(٢) لسان الدين بن الخطيب ، *أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام* ، الجزء الخاص بتاريخ أسبانيا (بيروت : نشر ليفي بروفنسال ، ١٩٥٦م)؛ ابن الخطيب ، *الإحاطة* ، ٢ : ١١٨ ؛ محمد عبدالله عنان ، *دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي* (و هو العصر الثاني من كتاب *دولة الإسلام في الأندلس*) ، ط٢ (القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ، ٣٤٢ . و مدينة أغمات ناحية في جنوب مراكش ، و بها نهر أغمات الذي ينبع من جبال أطلس و يتفرع منه عدة نهيرات ، و كانت مدينة أغمات أهم مدن الإقليم قبل تأسيس مدينة مراكش و كانت جزءا من دولة الأدارسة . و كان يحتلها قبل غزو المرابطين لها قبيلة مغراوة البربرية ، و قد فقدت أهميتها بعد تأسيس مدينة مراكش . أبو عبيد عبدالعزيز البكري ، *صفة أفريقية مستخرجة من كتاب المسالك و الممالك* (باريس : البارون ده سلان ، ١٨٥٧م) ، ٨٦ ، ١٠٢ ؛ الإدريسي ، أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله إدريس ، *صفة المغرب و أرض السودان و مصر و الأندلس المأخوذة من كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)* طبعة دوزي ودي خويه (ليدن ، ١٨٦٦م) ، ٢٩ ، ٦١ و ما بعدها ؛ *محيي الدين عبدالواحد بن علي التميمي المراكشي* ، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب* ، تحقيق سعيد العريان و محمد العليمي ، ط٢ (القاهرة : منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة تحقيق التراث الإسلامي ، ١٩٨٣م) ، ١٢٠ . أخبار =

يوسف بن تاشفين [٣] زعيم المرابطين عندما دخل مع قوات المرابطين إلى الأندلس لتخليصها من ملوك الطوائف ، حيث حاول الأمير عبدالله أن يبرر تصرفاته تجاه الأحداث السياسية التي مرّت بدولته أثناء حكمه لمدينة غرناطة [٤] و ما يتبعها من مدن و ولايات ،

= أبو الحسن علي بن عبدالله الفاسي بن أبي زرع، *الأنيس المطرب بروض القرطاس في المغرب وتاريخ مدينة فاس* (الرباط : دار المغرب الإسلامي، ١٩٧٣م) ، ٩٥ ؛ أحمد مختار العبادي ، *مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب و الأندلس* ، (الإسكندرية : جامعة الإسكندرية، ١٩٥٨م) ، ١٠٩ .

(٣) يوسف بن تاشفين : هو يوسف بن إبراهيم المصالي الصنهاجي اللمتوني الحميري ، أبو يعقوب ، أمير المسلمين ، و ملك الملثمين ، و سلطان المغرب الأقصى (٤١٠ـ٥٠٠هـ/ ١٠١٩م-١١٠٦م) أسس مدينة مراكش ، و لو في صحراء المغرب ، كتب إليه المعتمد بن عباد حاكم مدينة أشبيلية وبعض ملوك الطوائف يستنجدونه على قتال الفرنج منزحف بجموعه ، فكانت موقعة الزلاقة التي هزم فيها الإفرنج ، و بايعه من شهدها من أمراء و ملوك الأندلس ، اشتهر بالشجاعة والزهد في الدنيا . عبدالرحمن بن خلدون ، *تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر* (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) ، ٦ : ٢٢٠ ؛ المراكشي، *المعجب* ، ١٦٢ ؛ مؤلف مجهول، *الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية* ، نشر علوش (الرباط : المؤسسة الوطنية للنشر، ١٩٣٦م) ، ١٢ ، ٦٠ ؛ أحمد عطية الله، *القاموس الإسلامي* (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٢م) ، ١ : ٤٣١ ؛ أحمد بن محمد المقري التلمساني ، *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب* ، تحقيق محمد البقاعي بإشراف و مراجعة الناشر (بيروت : دار الفكر للطباعة و النشر ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ، ١ : ٤٢١ ؛ أحمد شلبي ، *موسوعة التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية* ، ط٢ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٩م)، ٤ : ١٢٠ ؛ عزالدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالكريم بن الأثير الجزري ، *الكامل في التاريخ* ، تحقيق أبي الفداء عبدالله القاضي (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ، ٢ : ٤٤٦ .

(٤) غرناطة : قاعدة الأندلس و عروس مدنها ، تبعد عن قرطبة مسيرة أربعين يوما ، يخترقها نهر شنيل و عدد من الأنهار ، تمتاز بكثرة بساتينها و جنانها . المقري، *نفح الطيب* ، ٤ : ٢٦٧ ؛ العبادي، *مشاهدات لسان الدين بن الخطيب* ، ٥١ ، ٨٩ ؛ ابن خلدون، *مقدمة ابن خلدون* ، تحقيق عبدالواحد الوافي (القاهرة: لجنة التبيان العربي، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م) ، ٣٠٨ .

كما تطرق الأمير عبدالله في ذلك الكتاب بالحديث المفصل إلى أسرته و حياته الشخصية. لذلك فلعل كتابه هذا يعتبر أوفى وثيقة تاريخية تعكس الأحوال السياسية و الاجتماعية التي مرّت فيها دولة الإسلام في الأندلس، كما و تعتبر مرآة صادقة نستطيع من خلالها التعرف على الصفات المميزة لشخصية الأمير عبدالله بعد مقارنتها و تدعيمها من كتب المؤرخين.

و كتاب *التبيان* من الوثائق المهمة في تاريخ الأندلس، و هو كتاب مخطوط مسجل بمكتبة جامع القرويين بفاس تحت رقم ١٨٨٦، و قد كان المستشرق الفرنسي (ليفي بروفنسال) قد كشف أهمية كتاب *التبيان* فقام بتحقيقه و نشره مجزءا في مجلة *الأندلس* التي تصدر في مدريد و مع كل قسم ينشره ترجمة له باللغة الفرنسية مع تعليقات كثيرة وشرح لبعض مفردات النص، و صدّر هذا كله بمقدمة ضافية عن مخطوط الكتاب و عن أهميته التاريخية، إلا أنه عندما تطرق لأهميته في معرفة شخصية الأمير عبدالله اكتفى بنقل ما كتبه ابن الخطيب في كتابه *الإحاطة* نقلاً عن الغافقي و ابن الصيرفي،[٥] كما تحدث عن قيمة الكتاب من الناحية الأدبية. ثم قام بنشره في كتاب مستقل تحت عنوان *مذكرات الأمير عبدالله آخر ملوك بني زيري بغرناطة ٤٦٩ ـ٤٨٣ هـ* بالقاهرة في سلسلة ذخائر العرب برقم ١٨، دار المعارف بمصر عام ١٩٥٥م.

و قد قصد الأمير عبدالله من تأليف كتابه *التبيان* بيان ما أسماه بالحادثة الكائنة بدولة بني زيري[٦] بغرناطة، وهي الدولة التي قامت في القرن الخامس الهجري (الحادي

---

(٥) انظر: *مجلة الأندلس*، ٤، ق١ (١٩٣٦م)، ١٢٦؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، ٣ : ٣٧٩. والغافقي هو محمد بن إبراهيم بن مفرج الغافقي، من ولد مروان بن حقل، النازل بقرية الملاحة من قنب قيس من عمل البيرة، يكنى أبا القاسم، ذكر عنه ابن الخطيب أنه من المفاخر الغرناطية، كما ذكر أنه نقل عنه كثيرا في مؤلفه *الإحاطة*، ابن الخطيب، *الإحاطة*، ٣ : ١٧٦.

(٦) انظر تاريخ هذه الدولة في ابن خلدون، *العبر*، ٦ : ٢١٠؛ أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي، ابن عذاري، *البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب*، تحقيق و مراجعة ج. س. كولان وليفي بروفنسال(بيروت: دار الثقافة، د. ت.)، ١ : ٢٢٨؛ المراكشي، *المعجب*، ٣ : ٢٦٢؛ حسين مؤنس، *تاريخ المغرب و حضارته « من قبيل الفتح العربي إلى نهاية الاحتلال الفرنسي للجزائر من القرن السادس إلى التاسع عشر الميلادي»* (بيروت: مطبعة =

عشر الميلادي) في عهد ملوك الطوائف ، تلك الفترة الحرجة التي مرّ بها التاريخ الأندلسي منذ سقوط الخلافة الأموية في الأندلس سنه ٤٢٢هـ/ ١٠٣١م و انتهاء حكم الأسرة العامرية فيها في نهاية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، و تشمل تلك الفترة من تاريخ دولة الإسلام في الأندلس مدة تقارب مـــا بين عام ٤٠٠ ـ ٤٨٤هـ/ ١٠٠٩ ـ ١٠٩١م . (٧)

عصر ملوك الطوائف بالأندلس

و لقد بدأت دول الطوائف تظهر بشكل واضح في تاريخ الأندلس الإسلامي منذ أواخر النصف الأول من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، حيث انقسمت الدولة الإسلامية في الأندلس على أثر الظروف السياسية السيئة التي عصفت بها بعد سقوط الخلافة الأموية إلى ست مناطق تمثل ما يعرف باسم دول الطوائف و عُرف رؤساؤها بملوك و أمراء الطوائف . و هي منطقة العاصمة القديمة قرطبة(٨) في وسط الأندلس و ما يليها

= العصر الحديث للنشر والتوزيع، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م)، ١ : ٥٥٩؛ الهادي روجي إدريس، *الدولة الصنهاجيه تاريخ أفريقية في عهد بني زيري من القرن العاشر إلى القرن الثاني عشر الميلادي* (بيروت : دار المغرب الإسلامي، ١٩٩٢م)، ١ : ٧٦ ؛ *ودائرة المعارف الإسلامية* (تهران : انتشارات جهانه بو ذر جمهري)، ١١ : ٢٦ .

(٧) ابن الخطيب، *أعمال الأعلام*، ٢ : ٢٣٥؛ عنان، *دول الطوائف*، ٣٤٢ ؛ *دائرة المعارف الإسلامية*، ٤ : ٢٤٧ ، ٢٤٨ ؛ عطية الله ، *القاموس الإسلامي* ، ٤ : ٥٥٦ .

(٨) ابن الأثير، *الكامل*، ٨ : ٤٤٦ ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، ٣ : ٣ و ما بعدها ؛ عنان، *دول الطوائف*، ١٧ ؛ عبدالرحمن علي الحجي، *التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة* (بيروت : دار العلم للملايين، ١٣٩٦ هـ/ ١٩٧٦ م) .

و مدينة قرطبة : تقع على سهل مرتفع في سفح جبل قرطبة و المعروف عند المؤرخين العرب بجبل العروس ، تطل على نهر الوادي الكبير ، و تحتل فحصا خصبا ينتج الغلال ، تمتد بجواره مناطق جبلية غنية بالمراعي و الكروم و أشجار الزيتون، أبو عبدالله محمد الإدريسي، *وصف المغرب و الأندلس عن كتاب نزهة المشتاق في اختـــراق الآفاق* (ليون : دوزي ودى خويه، ١٨٦٦م)، ٢٠٨ ؛ أبو عبدالله محمد بن عبدالمنعم الحميري، *الـــروض المعطار في أخبار الأقطار (صفة جزيرة الأندلس)* ، نشر ليفي بروفنسال (القاهرة : دار المعارف، ١٩٣٧ م) ، =

من الـمدن و الأرباض و منطقة طليطلة[٩] أو الثغر الأوسط و منطقة أشبيلية[١٠] وغرب الأندلس و ما يليها من الأراضي حتى المحيط الأطلنطي و منطقة غرناطة ، و منطقة بلنسية[١١] شرق الأندلس و منطقة سرقسطة[١٢] و الثغر الأعلى . و كان إلى جانب

= ٥٣ ؛ المقري ، *نفح الطيب*، ٢ : ١٠ ؛ ٤ : ٢٠٣ ؛ *الموسوعة العربية الميسرة* ، إشراف محمد شفيق غربال (القاهرة: دار الشعب ، مؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر ، ١٩٥٩م)، ١٣٧٦ .

(٩) طليطلة : مدينة بأسبانيا ، في وسط شبه الجزيرة الإيبيرية ، يحيط بها نهر تاجة من ثلاثة جوانب ، تمتاز بموقعها الحصين و خصوبة أراضيها ، تعتبر المركز الأول لجميع بلاد الأندلس؛ ابن قوطية القرطبي ، *تاريخ افتتاح الأندلس* ، تحقيق عبدالله أنيس الطباع (بيروت : مؤسسة دار المعارف للطباعة و النشر ، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤م) .

(١٠) أشبيلية : إقليم في الجنوب الغربي من أسبانيا ، يرويه نهر الوادي الكبير و روافده ، تقع جنوب غرب قرطبة ، و في شمال قادس ، و تبعد حوالي ستين ميلاً عن ساحل المحيط الأطلسي ، استولى عليها موسى بن نصير عام ٩٤هـ/ ٧١٢م، و قيل إن من قام ببنائها هو يوليوس القيصر لإعجابه بالأندلس عندما دخلها ؛ شهاب الدين بن عبدالله ياقوت الحموي، *معجم البلدان في معرفة المدن و القرى* (بيروت : دار بيروت للطباعة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)؛ الحميري ، *صفة جزيرة الأندلس* ، منتجة من *كتاب الروض المعطار في خير الأقطار* ، ١٩ ؛ أبو الفداء الملك المؤيد عمادالدين إسماعيل ، *تقويم البلدان*(باريس : دار الطباعة السلطانية، ١٨٤٠م)؛ العبادي ، *مشاهدات لسان الدين الخطيب* ، ١٢٦ ، ١٣٣ .

(١١) بلنسية : تقع في شرق الأندلس ، بينها و بين قرطبة على طريق بجانه ستة عشر يوما ، ، مدينة سهلية ، و قاعدة من قواعد الأندلس في مستو من الأرض ، عامرة القطر ، استولى عليها الروم قديما ، و أحرقوها بعد خروجهم منها سنة ٤٩٥هـ؛ الحميري ، *صفة جزيرة الأندلس* ، منتجة من *كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار* ، ٤٧ ؛ إحسان عباس ، *أخبار و تراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي (٥٧٦ هـ)* ، تحقيق إحسان عباس (بيروت : دار الثقافة ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥) ؛ *جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك و الممالك* ، تحقيق عبدالرحمن الحجي (بيروت : دار الإرشاد ، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م) .

(١٢) سرقسطة : في شرق الأندلس ، و قاعدة من قواعدها ، كبيرة القطر ، آهلة بالسكان ، حسنة الديار و المساكن ، متصلة الجنان ، يحيط بها سور حصين تقع على ضفاف نهر كبير ، تعرف بالمدينة البيضاء لكثرة جصّها و جيارها ؛ البكري ، *جغرافية الأندلس و أوربا* ، ٩٨ ؛ *دائرة المعارف الإسلامية*، ١٥ : ٢٥٨ .

هذه المناطق عدد كبير من المدن و القواعد الأندلسية الـــتي استقلت بنفسها و لكنها ما لبثت أن اختفت بانضمامها أو خضوعها لإحدى الإمارات الأخرى . و بلغ عدد هـــذه الممالك ستا و عشرين دولة تتفاوت في قوتها و مساحتها و أهميتها[١٣] . و من أشهر هذه الممالك مملكة بني جهور[١٤] في قرطبة و مملكة بني عباد[١٥] في أشبيلية، ثم ضموا إليهم مملكة قرطبة و مملكة بني الأفطس[١٦] ببطليوس،[١٧] ثم مملكة بني ذي النون[١٨] في

(١٣) عطية الله، *القاموس الإسلامي*، ٤ : ٥٥٦ ، عنان ؛ *دول الطوائف*، ١٧ .

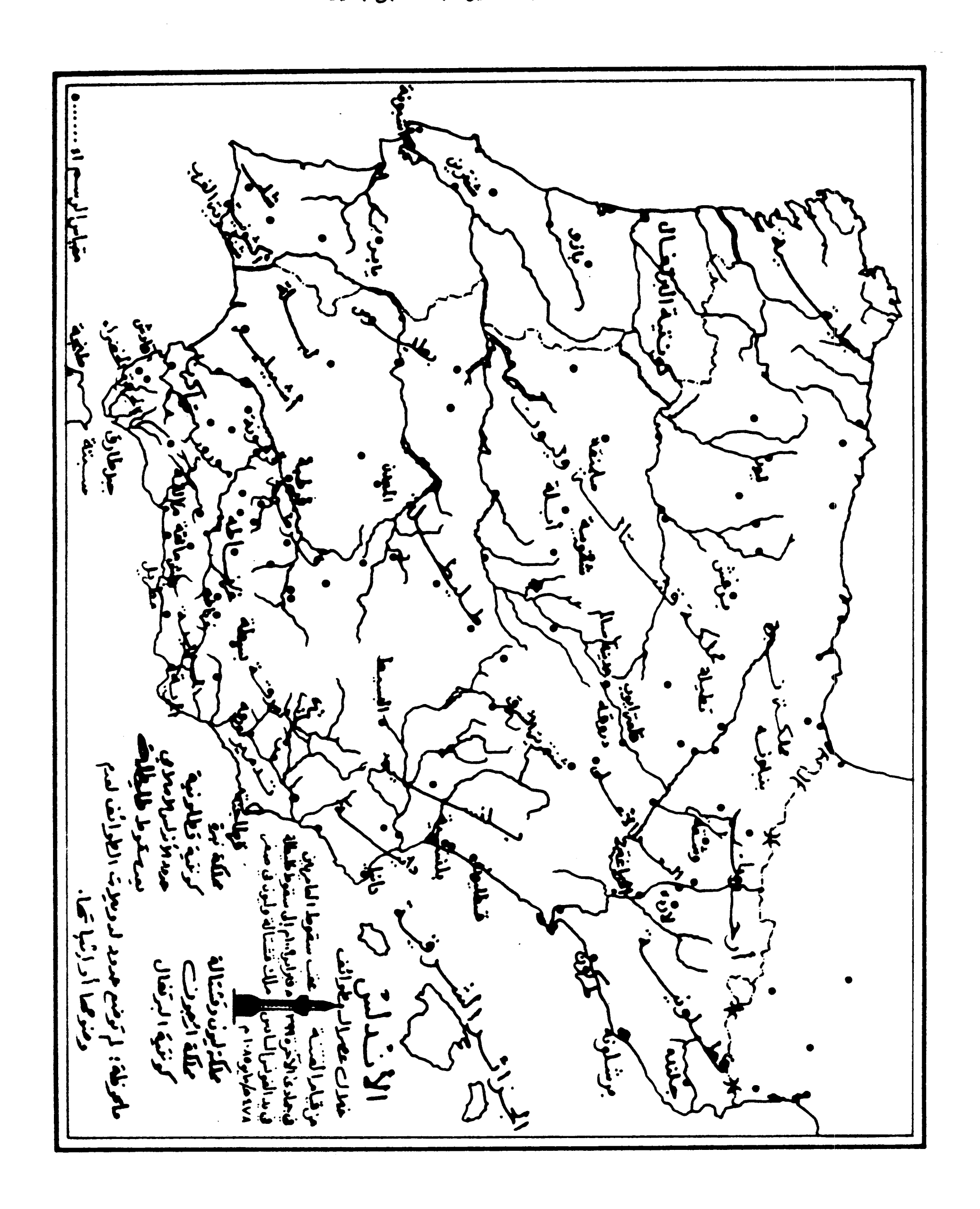
(١٤) بنو جهور : بيت من بيوت الوزراء ، هم من ملوك الطوائف بالأندلس ، تولوا على قرطبة نحو نصف قرن من الزمان خلال القرن الخامس الهجري (الحادي عشر ميلادي) ينسبون إلى جهور بن محمد بن جهور بن عبدالملك . كان جده (بخت بن عبده) مـــن الفرس و مولى لعبدالملك بن مروان ، دخلت هذه الأسرة في عهده الأندلس . كـــان أبو الحزم و الذي تنسب له هذه الأسرة وزيرا لهشام الثالث آخر خلفاء بني أمية و بعد سقوط الخلافة الأموية في الأندلس سنه ٤٢٢هـ / ١٠٣٠ م نجح في إنشاء دولته في قرطبة ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ،٣ :١٨٦ ؛ المقري، *نفح الطيب*، ١ :٢٥٥ ، ٤٢١ ؛ عطية الله ، *القاموس الإسلامي*، ٣ :٦٥٠ .

(١٥) بنوعباد : أحد فروع اليمنيين من قبيلة لخم ، قامت دولتهم في مدينة أشبيلية في الأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية في الأندلس سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م ، و انتهت على يد أمير المرابطين يوسف ابن تاشفين عندما دخل الأندلس لتخليصها من أمراء الطوائف . انظر تاريخ هــذه الأسرة في ابن عذاري، *البيان المغرب*،٣ : ٢٠٤ ؛ المقري، *نفح الطيب*، ١ : ٤٢١ .

(١٦) بنو الأفطس : ينسب بنو الأفطس إلى جدهم أبي محمدعبدالله بن محمد بن مسلمة المعروف بابن الأفطس ، و بنو الأفطس أسرة بربرية من بطليموس حكمت سنة ٤١٨هـ؛ ابن عذاري ، *البيان المغرب*، ٣ : ٤٣٥ و مـــا بعدها؛ عطية الله، *القامـوس الإسلامي*، ١ : ١٤٢ ؛ *دائرة المعارف الإسلامية* ، ٢ : ٢٤٨ ؛ أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، *الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة*، تحقيق إحسان عباس (تونس: الـــدار العربية للكتاب ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، ٢ : ٦٤٠ .

(١٧) بطليوس : من مدن الأندلس ، تقع في إقليم ماردة ، قام بإنشائها عبدالرحمن الجليقي ؛ الحميري، *الروض المعطار* ، ٤٦ ؛ الإدريسي ، *صفة المغرب و الأندلس* ، ٥٢ ، البكري، *جغرافية الأندلس وأوربا*، ١١٩ .

(١٨) بنو ذي النون : أصلهم من البربر ، كانوا في خدمة الدولة العامرية ، ينسبون إلى جـــدهم زنون، الذي تصحف بطول المدة حضار (ذو النون). شاع ذكرهم في دولة ابن أبي عامر حـــيث =



خريطة رقم (١).

طليطلة، ثم مملكة بني مناد البربرية[١٩] في غـرناطة و مالقة.[٢٠]

و كانت هذه الممالك عبارة عن وحدات إقطاعية متنافرة تحكمها أسر مختلفة الأجناس متباينة الأهداف لا تربط بينها رابطة أخوة أو جوار و إنما كانت العلاقة فيما بينهم علاقة يسودها التناحر و التنازع وتغلبت عليها الأنانية المفرطة و حب الذات، حيث كانت الدول الضعيفة منها محط أطماع الدول الأقوى منها، حيث تعمل على الاستيلاء عليها أو التحالف معها.[٢١] و لعل أبلغ صورة تصف حالة الأندلس و انحلالها في عصر ملوك الطوائف ما ذكره ابن الخطيب بقوله: « و ذهب أهل الأندلس إلى حيث لم يذهب كثير من الأقطار مع امتيازها بالمحل القريب و الخطة المجاورة لعباد الصليب، ليس لأحدهم في الخلافة إرث و لا في الإمارة مكتسب، اقتطعوا الأقطار، و اقتسموا المـدائن الكبار، وجبوا العملات و الأمـصار و جندوا الجنود، و قدموا القضاة و انتحلوا الألـقاب،

= تولوا مناصب عالية، دعا أهل طليطلة ابن ذي النون لتولي أمرهم بعد أن خلعوا حاكمها عبدالملك بن عبدالرحمن بن منوه، فأرسل إليهم ابنه إسماعيل بن عبدالرحمن، فاستولى على ملك طليطلة. ابن عذاري، *البيان المغرب*، ٣ : ٢٧٦ ؛ المقرى، *نفح الطيب*، ١ : ٤٢٢.

(١٩) بنو مناد: نسبة إلى مناد بن منقوش بن صنهاج الأصغر، ملك جانبا من أفريقية و المغرب الأوسط، مقيما لدعوة بني العباس، و وراجعا إلى أمر الأغالبة، و يرجع بنو مناد إلى صنهاجة البربرية، وهي بطن من بطون البرانس الكبرى، ابن خلدون، *العبر*، ٦ : ١٨١ ؛ عـنان، *دول الطوائف*، ١٢١ ؛ شاكر مصطفى، موسوعة *العالم الإسلامي و رجالها* (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٣ م)، ٢ : ٣٨٥.

(٢٠) مالقة: إحدى قواعد الأندلس، مدينة على شاطىءالبحر، تمتاز بطبيعتها و محصولاتها الزراعية، و خصوصا العنب و التين و اللوز ؛ المقري، *نفح الطيب*، ١ : ١٤٨ ؛ العبادي: *مشاهدات لسان الدين بن الخطيب*، ٥٧.

(٢١) انظر تاريخ دول الطوائف في: ابن الخطيب، *أعمال الأعلام*، ٢ : ١٤٤ ؛ المقري، *نفح الطيب*، ٢ : ٦٠٥، ٧٥٣ ؛ ابن بسام، *الذخيرة*، ٢ : ١١٥ ؛ابن عذاري، *البيان المغرب*، ٣: ١٥٠، ١٥١ ؛ ابن الخطيب، *الحلة السيراء*؛ ابن الأبار: أبو عبدالله محمد بن عبدالله البلنسي، *الحلة السيراء*، تحقيق حسين مؤنس (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٣ م)، ١: ٢٤٥، ٢٥١ ؛ ابن خلدون، *العبر*، ٤ : ٣٤٣ ؛ ابـن الأثير، *الكامل*، ٨ : ١٠٧ و ما بعدها.

و كتب عنهم الكتاب و الأعلام ، و أنشدهم الشعراء» إلى أن يقول مبينا أصلهم : «وهم ما بين مجبوب[٢٢] و بربري مجلوب ، و مجند غير محبوب ، و غفل[٢٣] ليس بالسراة محبوب ، ما منهم من يرضى أن يسمى ثائرا و لا لحزب الحق مغايرا و قصارى أحدهم أن يقول أقيم ما بيدي حتى يتعين من يستحق الخروج إليه . »[٢٤]

دولة بني زيري بن مناد

ينسب الأمير عبدالله بن بلقين إلى دولة بني زيري بن مناد الصنهاجيين و الذين ينتمون الى (تلكانه)،[٢٥] و هي إحدى الفروع العديدة من صنهاجة،[٢٦] و تعتبر أكبر القبائل الصنهاجية ، و صنهاجة بطن من بطون قبيلة البرانس[٢٧] الكبرى . و بنو زيري

---

(٢٢) مجبوب ، الرجل الخصي، ابن منظور، *لسان العرب* ، ١ : ٢٤٩ .

(٢٣) غفل : الغفل الذي لافطنة له، و المقيد الذي أغفل فلا يرجى خيره ، ولا يخشى شره، مجد الدين محمد يعقوب الفيروز آبادي ، *القاموس المحيط* (بيروت : التراث ومؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦ م) ، ٤٨ .

(٢٤) ابن الخطيب، *أعمال الأعلام*، ٢ : ١٤٤ .

(٢٥) *دائرة المعارف الإسلامية*، ١١ : ٢٢٠ ؛ مؤنس، *تاريخ المغرب وحضارته*، ١ : ٨٠؛ روجي، *الدولة الصنهاجية* ، ١ : ٣٦ . و تلكانه أو تلكانة : أحد الفروع التابعة لصنهاجة ينتمي إليها بنو زيري بأفريقية والأندلس ، وبنو حمّاد بالمغرب الأوسط ؛ ابن خلدون ، *العبر* ، ٦ : ١٨٠ ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، ١ : ٢٢٨؛ المراكشي، *المعجب* ، ٣ : ٢٦٢ ؛ مؤنس؛ *تاريخ المغرب وحضارته*، ٥٦٥ ، ٥٦٨ .

(٢٦) صنهاجة : قال عنها ابن خلدون : « من أكبر قبائل البربر إذ يقارب عددهم الثلث من أمم البربر، وهم من ولد صنهاج وهو صنان إلا أن العرب عرّبته وزادت عليه الهاء بين النون والألف : فصار (صنهاج) وهم عند نسابة البربر من بطون البرانس بن بر . واتخذت صنهاجة من الشمال الأفريقي مسكنا لها؛ ابن خلدون؛ *العبر*، ٢ :١٧٩ ؛ عطية الله، *القاموس الإسلامي*، ٤ : ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

(٢٧) ينقسم البربر من الوجهة الاجتماعية إلى مجموعتين مختلفتين و هم الحضر الذين اتخذوا من السهول الخصبة و الهضاب المزروعة موطنا لسكناهم ، و يتصلون بالحضارة القرطاجنية و اللاتينية و يعيشون على الزراعة و الصناعة ، و يعرفون بالبربر البرانس ؛ أما القسم الثاني فيمثله =

أسرة بربرية تولت جزءا من بلاد البربر الشرقية من نهاية القرن الـرابع الهجري (العـاشر الميلادي) و قد اتخذت قبائل صنهاجة شرق المغرب الأوسـط و الـتي كانت عاصمته مـدينة تاهرت [٢٨] بالإضافة إلى بجاية [٢٩] على البحر ، و هي منطقة جبلية تقوم فيها

= البدو الرحل ، و يعيشون على الرعي ، و يعرفون بالبربر البتر . وقد ذكر مؤرخون أنساب البربر أن البربر البرانس من أعقاب برنس بن بر بن مازيغ ؛ أما البربر البتر فينحدرون من مادغيس بن الأبتر بن بر بن مازيغ ، و نسبوا الجد الأعلى للبربر إلى كنعان بن حزم بن نوح ، و قد ذكر ابن خلدون (نقلاً عن الطبري) أن البربر أخلاط من كنعان و العماليق ، فلما قتل جالـوت بن هربال تفرقوا في البلاد ففر أقليش إلى المغـرب و نقلهم من سواحل الشام و أسكنهم أفريقية و أسماهم البربر ، كما ذكر ابـن خلدون (نقلاً عن مالك بن الرحل) أن البربر قبائل شتى من حمير و مضر و القبط ؛ انظر تاريخ البربر في : ابن خلدون، *العبر* ، ٦ : ١٠٤ ، ١٣٤ ، ١٦٣ ؛ ابن أبي زرع ، *روض القرطاس* ، ٨٥ ؛ ابن عذاري ، *البيان المغرب* ، ١ : ٢٥ و ما بعدها ، ٢٢٨ ؛ البكري ، *المسالك و الممالك* (الجزائر : طبعة ده سلان ، ١٨٥٧م)؛ أحمد شلبي ، *موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية* ، ط٣ (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٩٦م).

(٢٨) مدينة تاهرت : تقع في المغرب الأوسط ، قام ببنائها عبدالرحمن بن رستم و اتخذها قاعدة لنشر تعاليم المذهب الإباضي بين قبائل المنطقة ، تشتهر بمراعيها و بساتينها ، قال عنها ابن حقل : ((هي أحد معادن الدواب و المكاشية و الغنم و البغال و البراذن الفراهية))؛ ابن حوقل ، *صورة الأرض* (بيروت : مكتبة دار الحياة، د. ت) ، ٨٦ ؛ البكري ، *كتاب المغرب في ذكر بلاد أفريقية و المغرب* ، جزء من كتاب *المسالك و الممالك* (الجزائر : طبع ده سلان ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ١٩١١م)، ٦٨ .

(٢٩) بجاية : مدينة تقع في المغرب الأوسط ، ذكر عنها الإدريسي أنها كانت مـدينة تجارية و صناعية ، بنى فيها دارا لصناعة الأساطيل و ذلك لتوافر الخشب في أوديتها و جـبالها ، و في العصر العربي الأول كانت بجاية قد تحولت إلى قرية صغيرة يقطنها صيادو السمك ، و كانت تملك أراضيها قبيلة بربرية تسمى بجاية و منها اخـذت المدينة اسهما ، و بجاية إحدى عواصم بني زيري حيث اتخذها بنو حماد عاصمة لهم . ياقوت الحموي ، *معجم البلدان* ، ١ : ٣٣٨؛ ابن خلدون ، *العبر* ، ٦ : ٢٠٢ ، أبوعبدالله محمد بن محمد بن عبدالله إدريس ، الإدريسي ، *صفة الأندلس* (*مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*) تحقيق دوزي ودي خويه(أمستردام ، ١٩٦٩م)، ٩٠ ، ٩١ ؛ إسماعيل العربي ، *عواصم بني زيري ملوك أستير ، بجاية ، غرناطة ، المهدية* (بيروت : دار الرائد العربي ، ١٩٨٤ م/ ١٤٠٤هـ) ، ٤٩ .

جـــبال أوراس و هي جزء من الأطلسي موطنًا لها .[٣٠]

ثم أنشأ زيري بن مناد[٣١] مدينة أشير [٣٢] و اتخذها عاصمة لملكه بعد أن خـلف والـــده مناد بن منقوش[٣٣] على زعامة تلكانة ، وخضعت له صنهاجة . و عندما قامت دولة العبيديين[٣٤] (الفاطميين) في أفريقية ، أغار بنو مناد في عهد زعيمهم زيري بن مناد

---

(٣٠) ابن خلدون، *العبر* ، ٦ : ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ؛ مؤنس، *تاريخ المغرب*، ١ : ٥٦٩ .

(٣١) زيري بن مناد : من أعظم ملوك البربر ، كان من المناصرين للدولة العبيدية ، رحل مع مجموعة من بني زيري إلى الأندلس ، فدخلوا في خدمة المنصور بن أبي عامر ، و أصبح لهم شأن في الجيش . ابن خلدون، *العبر*، ٦ : ١٨١ ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، ٣ : ٢٦٢ ، ٢٦٣ ؛ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، ابن خلكان، *وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان* ، تحقيق إحسان عـــباس (بيروت : دار الثقافة، د.ت.) ، ٢ : ٣٤٣ ؛ أبو مروان بن خلف، ابن حيان، *كتاب المقتبس من تاريخ رجال الأندلس* ، تحقيق عبدالرحمن الحجي (بيروت : الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣م) .

(٣٢) مدينة آشير : مدينة حصينة بنيت على قمة جبل يبلغ ارتفاعه ٤٠٠متر، حسنة الموقع ، ترويها عينان ، ماؤها عذب غزير ، قام بإنشائها زيري بن مناد سيد صنهاجة عام ٣٢٤هـ - ٣٣٤هـ / ٩٣٥-٩٤٥م؛ ابن خلدون، *العبر*، ٦ : ١٨١؛ *دائرة المعارف الإسلامية* ، ١ : ٤٤٦ ؛ شهاب الدين أحمد النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، نشر ليفي بروفنسال (القاهرة : دار الكتاب المصري ، ١٩٤٨ م) ، ٢: ١٠٢ ؛ العربي ، *عواصـــم بني زيري*، ١٠ و ما بعدها .

(٣٣) مناد بن منقوش : انحدرت منه أسرة بني زيري ، زعيم قبيلة تلكانة، قيل عنه إنه من موالي الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، و أن نسبه يرجع إلى قحطان ، ذكر عنه ابن خلدون أنه كان يحكم جزءًا من أفريقية والمغرب باسم العباسيين بواسطة الأغالبة، النويري، *نهاية الأرب*، ٢ : ١٠٢ ؛ ابـــن عذاري، *البيان المغرب*، ١ : ٢٢٥ ؛ ابن خلدون، *العبر* ، ٦ : ١٥٣؛ ابن الأثير، *الكامل*، ٨ : ٣٧٤ .

(٣٤) الدولة العبيدية : عرفت الدولة الفاطمية باسم الـــدولة العبيدية نسبة إلى عبيدالله المهدي ، وعرفت باسم الدولة الفاطمية نسبة إلى فاطمة الزهراء ابنة الرسول صـــــلى الله عليه و سلم ، و انتشرت دعوة الفاطميين على يد أبي عبدالله الشيعي في بلاد المغرب بمساعدة كتامة البربرية و قد تمكن عبدالله الشيعي من القضاء على دولة الأغالبة في بلاد المغرب بعد هزيمتهم ، و اسـتولى =

عليهم ثم عملوا معهم في القضاء على الثورة التي قام بها الخارجي (أبو يزيد بن كيداد)[٣٥] في جبال أوراس . ثم توطدت هذه العلاقة في عهد ابنه بلقين ،[٣٦] وذلك عندما جعله الخليفة الفاطمي المعز لدين الله[٣٧] أميرا على أفريقية وجعل له الولاية

= على القيروان، ابن عذاري، *البيان المغرب* ، ١ : ١٢٤ ، ١٢٥ و ما بعدها ؛ ابن الخطيب ، *أعمال الأعلام*، ٢ :١٢٨ ؛ عبدالعزيز سالم، *تاريخ المغرب في العصر الإسلامي* ، ط٢ (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨١م)، ٥٠٧ ، ٥١٥ .

(٣٥) ابن خلدون، *العبر* ، ١ :٤٧٤ ، ٤٩٥ ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، ٣ : ٤٦٢ ؛ مؤنس، *تاريخ المغرب* ، ١ : ٤٩٥ ، الهادي روجي، الدولة الصنهاجية ، ١ :٤٨ ؛ وأبو يزيد الخارجي : هو مخلد بن كيداد بن سعدالله بن مغيث الفرني الزناتي ، ينتمي - حسب الاحتمال - إلى قبيلة بني يفرن ، من أهل قسطيلية في جنوب أفريقية ، ولد في بلاد السودان و نشأ و تعلم في مدينة شوز ، و هي من أكبر مدن قسطيلية ، ثم انتقل إلى تاهرت و دخل في جماعة الإباضية النكارية و خرج على الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ، ١ :٢١٦ ؛ ابن خلدون، *العبر*، ٦ : ٤٧٤ ، ٤٧٥ ؛ مؤنس ، *تاريخ المغرب*، ١ :٤٩٥ ؛ ابن حيان، *المقتبس*، ١٣٤ ، ١٩٢ .

(٣٦) ابن الخطيب ، *أعمال الأعلام* ، ٢ :١٢٨ ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، ٣: ٢٦٣ . و بلقين بن زيري : هو أبو الفتوح سيف الدولة يوسف بن بلقين ، منحه المعز لدين الله الفاطمي لقب سيف الدولة و لقب أبي الفتوح ، و أبدل اسمه من بلقين إلى يوسف و جعله أميرا على بلاد المغرب من قبل الفاطميين بعد انتقالهم إلى مصر ، فقضى على الثورات التي قامت بها قبائل زناته في المغرب الأقصى ضد الفاطميين . ابن بسام ، *الذخيرة*، ٤ : ٢ :٦١٣ ؛ عطية الله، *القاموس الإسلامي*، ١ :٣٥٨؛ *دائرة المعارف الإسلامية* ، ٤ : ١١٢ .

(٣٧) المعز لدين الله الفاطمي : هو معد بن إسماعيل بن قاسم بن عبدالله كنيته أبو تميم ، و لقبه المعز لدين الله ، ولد بالمهدية سنة ٢١٦ هـ و هو أول ملوك مصر من بني عبيد؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، ١ :٣٢١ ؛ ابن خلدون، *العبر* ، ٦ :١٨٣ ؛ ابن بسام، *الذخيرة* ، ٤ :٢ :٦١٣ ؛ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، طبعة مصورة ، دار الكتب بوزارة الثقافة و الإرشاد القومي (القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، د. ت.) ، ٤ :٦٩ .

على كل ما يغزو من أراضي زناتة، [٣٨] و ذلك قبل رحيله الى مصـــر [٣٩] بعد أن تم غزوها على يد قائده جوهر الصقلي [٤٠] بعد أن قضى على الدول الإخشيدية [٤١] بها. ولقد تم انتقال عدد من أبناء بني زيري إلى الأندلس بزعامة شيخهم زاوي بن زيري [٤٢]

(٣٨) زناتة : من بطون البتر ، من ولد مادغيس ، سكنوا المغرب الأوسط ، من مشاهير زناتة سعيد بن واسول، جد بني مدرار ملوك سجلماسة ، و أبو يزيد بن مخلد بن كيداد اليفرني الخارج على الدولة الفاطمية الشيعية؛ ابن خلدون، *العبر* ، ٦ : ١٢٣ ، ١٢٤؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ، ١ ، ٢٥٢ ؛ مؤنس، *تاريخ المغرب*، ١ : ٥٣ .

(٣٩) ابن الخطيب، *أعمال الأعلام*، ٢ :١٢٨ ؛ *دائرة المعارف الإسلامية*، ١١ :٢٣ ، ٢٤ .

(٤٠) أبو الحسن حسين جوهر بن عبدالله الصقلي، يلقب بالكاتب ، قائد فاطمي ، ولد في أرض الروم ، ثم أحضر للقيروان مع من أحضر من العبيد ، تنقل في أيدي جملة أشخاص ، فقدم هدية للخليفة المنصور ، فأعتقه المعز بن المنـــصور ؛ ثم ترقى في الكتابة و الوزارة و برز في القيادة ، فأصبح من أعظم القواد الفاطميين؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان* ، ١ : ٧٣؛ ابن تغري بردي، *النجوم الزاهرة* ، ٢ : ٤٠٤ .

(٤١) الدولة الإخشيدية : دولة مصرية عرفت بهذا الاسم ، و الإخشيد من ألقاب الأمراء عند قدماء الفرس، منحه الخليفة الراضي ٣٢٦ هـ/ ٩٣٧م إلى مؤسس هذه الدولة محمد بن طغج ، كان ذلك الاسم لقبا لدى أمراء فرغانة الذين يزعم الأخشيديون أنهم من نسلهم؛ *دائرة المعارف الإسلامية*، ١ : ٥١٢ .

(٤٢) زاوي بن زيري : أعظم أمراء دولة بني زيري في أفريقية ، انتقل مع قومه بني زيري إلى الأندلس على أثر الفتنة التي قامت بين أفراد أسرة بني زيري بسبب استبداد باديس بن المنصور بقومه آل مناد و التي قتل فيها عم أبيه ماكسن بن زيري ، فخشي الباقون سطوة باديس بن المنصور فالتفوا حول زعيمهم زاوي بن زيري ، فطلب زاوي من المنصور محمد بن أبى عامر السماح لهم بالعبور إلى الأندلس بغرض الجهاد في سبيل الله فوافق المنصور . كون زيري إمارة في غرناطة، ثم ما لبث أن عاد إلى أفريقية . قال عنه ابن الخطيب: ((كان زاوي كبش الحروب ، و كاشف الكروب ، خدم قومه ، شهير الذكر أصل المجد ، المثل المضروب في الدهاء و الرأي و الشجاعة و الألفة و الحزم» ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة* ، ١ : ٥٢٥ ؛ ابن عذراي، *البيان المغرب* ، ٣ :١٢٨ ؛ ابن خلدون، *العبر* ، ٦ :١٨٧ ؛ شلبي، موسوعة *التاريخ الإسلامي*، ٤ :٢٤٢ ، ٢٤٣ .

أثر الأحداث الداخلية السيئة و التي مرَّت بها دولتهم في المغرب، حيث طلب زعيمهم زاوي بن زيري من المنصور محمد بن أبي عامر[٤٣] السماح له و لمن معه من قومه بالعبور إلى الأندلس بغرض الجهاد في سبيل الله ، فوافق المنصور على طلبه .[٤٤] فعبر زاوي ومعه أبناء أخيه ماكسن إلى الأندلس ، فرحب بهم المنصور و اتخذهم عونا له و قويت مكانتهم في عهد ولديه المظفر و عبدالرحمن و احتلوا مكانة كبيرة في الجيش . و بعد أن سقطت الدولة العامرية ، بدأ عهد الفتن و الفوضى و التنازع على الخلافة، حيث انتزعها محمد بن هشام الملقب بالمهدي[٤٥] من هشام المؤيد،[٤٦] و أساء المهدي معاملة البربر مما

---

(٤٣) المنصور بن أبي عامر : هو أبو عامر محمد بن عبدالله بن عامر محمد بن الوليد يزيد بن عبدالملك ابن عامر المعافري ، كان جده عبدالملك من العرب الداخلين إلى الأندلس مع جيوش طارق بن زياد، فأسند إليه الخليفة الحكم المستنصر مهمة رعاية ابنه هشام ، فأخذ له المنصور البيعة بعد وفاة والده الحكم ، ثم استقل المنصور بالدولة سياسيا، و كون الدولة العامرية ؛ المراكشي ، *المعجب* ، ٧٢؛ ابن خلدون، *العبر* ، ٤ : ٣١٨ ، ٣١٩؛ ابن بسام ، *الذخيرة*، ١ : ٤ : ٣٩ ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، ٢ : ٢٥٦؛ ابن الخطيب، *أعمال الأعلام*، ٢ : ٩٤ .

(٤٤) ابن خلدون، *العبر* ، ٦ : ١٨٠ ، ١٨١ ؛ ابن الخطيب، *أعمال الأعلام*، ٢ : ٢٦ ؛ ابن الأثير، *الكامل*، ٦ : ٦٧٩ ؛ عبدالله بن بلقين ، *التبيان* ، ١٦ يذكر ابن عذاري في كتابه *البيان المغرب*، ٣ : ٢٦٣ أن انتقال بني زيري تم في عهد المظفر بالله عبدالملك بن المنصور محمد بن أبي عامر، وذكر ذلك أيضا ابن السماك العاملي في كتابه *الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة* ، تحقيق محمود علي مكي (مدريد: المعهد العربي المصري للدراسات الإسلامية، د. ت.) . و كذلك ذكره حسين مؤنس في كتابه *تاريخ المغرب و حضارته* ، و ربما أن الأرجح و الأقرب إلى الصحة هو ما ذكره الأمير عبدالله في كتابه *التبيان* من أن انتقالهم كان في عهد المنصور محمد بن أبي عامر و ذلك لتعلق هذا الحدث بأسرته .

(٤٥) محمد بن هشام : هو محمد بن هشام بن عبدالجبار بن عبدالرحمن الناصر ، يلقب بالمهدي ، يكنى بأبي الوليد ، أمه أم ولد اسمها مزنة ، لقب نفسه بالمهدي ، و لقبه العامة بالمنقش لهشاشته و طيبته؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، ٣ : ٥٠ ؛ ابن خلدون، *العبر* ، ٦ : ٢١٢ .

(٤٦) هشام المؤيد : هو هشام بن الحكم المستنصر ، تولى الحكم بعد أبيه الحكم ، و كان صغيرا لا يتجاوز عمره تسع سنوات ، و كان والده قد أسند أمر تربيته إلى المنصور محمد بن أبي عامر ، فاستقل المنصور بالدولة بعد أن حجر على هشام بن الحكم ؛ المقري، *نفح الطيب*، ١ : ٣٧٩ ، =

دفعهم للانضمام إلى خصمه سليمان بن الحكم.[٤٧] و بعد أن انتصر سليمان بن الحكم على خصمه المهـــدي سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١٣م، أعطى صنهاجة و زعـــماءها بني زيري بن مناد ولاية البيرة،[٤٨] و ذلك كمكافأة لهم لمساعدته على خصمه من ناحية و لإبعادهم عن قرطبة من ناحية أخرى.[٤٩] و لكن زاوي بن زيري و أتباعه رأوا أن موقع البيرة كان مكشوفا لا يصلح للدفاع عنها فعملوا على إنشاء مدينة ، قريبة منها تكون عاصمة لدولتـهم ، فقاموا بإنشاء مدينة غرناطة ،[٥٠] و اختـاروا لها موقعا قريبا من وادي شـــنيل[٥١] المنحدر

=٣٨٠ ؛ ابن عذاري ، *البيان المغرب*، ٢ : ٢٩٢ و ما بعدها ؛ عنان، *الخلافة الأموية* ، ١٢ ؛ أحمد مختار العبادي، *تاريخ المغرب و الأندلس* (الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، د. ت.) ، ٨٧ .

(٤٧) ابن الخطيب، *الإحاطة* ، ١ : ٥١٤ .

(٤٨) البيرة : من مدن الأندلس ، تمتاز باعتدال جوها ، إلا أنها قليلة الأمطار ، تطل على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، و تقع شمال شرق غرناطة ؛ العبادي ، *مشاهدات* ، ٩٣ .

(٤٩) ابن عذاري ، *البيان المغرب*، ٣: ٢٦٢ ؛ *مذكرات الأمير عبدالله بن بلقين آخر ملوك بني زيري بغرناطة و المسمى بكتاب التبيان*، نشر و تحقيق ليفي بروفنسال (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٥م)، ١٨ ، ١٩ ؛ ابن الخطيب، *أعمال الأعلام* (القسم الخاص بالأندلس)، ٢٦١ ؛ ابن بسام، *الذخيرة*، ١ : ٤ : ٦٠ ، ٦١ ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، ١ : ٥٢١ ؛ العربي ، *عواصم بني زيري*، ٨٤. يذكر الأمير عبدالله في كتابه *التبيان* ، ١٨ ، ١٩ ، أن صنهاجة عندما رأت تفكك الدولة الأموية ، و استقلال كل أمير من أمراء الطوائف بمدينة من مدنها ، عزمت قبيلة صنهاجة على الرحيل إلى الأندلس ، فعندما دخلوها ، قام أهالي البيرة بدعوة زاوي بن زيري وقومه إلى الإقامة بأرضهم ، و مشاركتهم خيراتها بشرط الدفاع عنها ، فقبل زاوي دعوتهم ، وسكن بها ، و لعل هذه الرواية أقرب للصحة لأنها قد صدرت من الأمير عبدالله بن بلقين ، وذلك لصـــلة هذا الحدث بأسرته .

(٥٠) ابن بلقين، *التبيان* ، ٢٠ ، ٢١ .

(٥١) نهر شنيل بالأسبانية Cenil أو Xenil ، و هو مشتق من اللاتينية Singillis ، يقع جنوب غرناطة ، و يمر بغربها ، و من أهم مميزاته وجود الذهب الأحمر به ؛ ابن فضل الله العمري، *مسالك الأبصار*، نقله أبو العباس أحمد القلقشندي في *صبح الأعشى* (القاهرة: دار الكتب المصرية ، ١٩١٣-١٩١٩م) ، ٥ : ١٢٠ ؛ العربي، *عواصم بني زيري*، ٨٦ .

من جبال شلير يحجبه الجبل عن الأعداء، [٥٢] فصـار الملك إلى باديس بن حبوس و لقب بأبي مناد و تسمى بالمظفر بالله الناصر لدين الله. [٥٣] مكث آل زيري في بلاد الأندلس سبعا و ثلاثين سنة، ثم قرر زاوي بن زيري العودة إلى المغرب على أثر الحوادث السياسية التي عصفت بالأندلس بعد مقتل سليمان بن الحكم. [٥٤] فخرج زاوي من الأندلس وتوجه إلى أفريقية، و بعد رحيل زاوي من غرناطة تولى إمارتها ابن أخيه حبوس بن ماكسن. [٥٥] و بتعيين حبوس بن ماكسن على غرناطة قامت دولة بني زيري بن مناد على غرناطة ثم تولى الحكم من بعده ابنه باديس بن حبوس. [٥٦]

ولاية الأمير عبدالله بن بلقين لمملكة غرناطة

و بعد وفاة باديس بن حبوس اتفق شيوخ صنهاجة على تولية حفيده عبدالله بن بلقين مكانه فأصبح أميرا على غرناطة و ذلك في عام ٤٦٥هـ/ ١٠٧٣م، و لقب بالمظفر بالله، الناصر لدين الله، و كان والده بلقين بن باديس قد قتل مسموما في حياة والده على يد وزير والده اليهودي و الذي يدعى (يوسف بن تغراله)، [٥٧] لذلك يعتبر الأمير عبدالله ابن بلقين الملك الثالث لمملكة غرناطة.

أما عن حياة الأمير عبدالله بن بلقين الاجتماعية فلقد رزق بابنة كانت باكورة إنتاجه وكان فرحا متفائلا بقدومها، ثم رزق بابنين توأمين، و كان ذلك في منفاه بمدينة أغمات. [٥٨]

و كان الأمير عبدالله كثير المال قليل العيال، يتضح ذلك من قوله عندما سلم نفسه

---

(٥٢) ابن بلقين، *التبيان*، ٢١، ٢٢.

(٥٣) ابن بلقين، *التبيان*، ٢٢، ٢٣.

(٥٤) ابن عذاري، *البيان*، ٣ : ٢٦٢؛ ابن بلقين، *التبيان*، ٢٥؛ روجيه، *الدولة الصنهاجية*، ١٧٣؛ ابن خلدون، *العبر*، ٦ : ٢٦٢.

(٥٥) ابن خلدون، *العبر*، ٦ : ٢١٣؛ ابن بلقين، *التبيان*، ٢٦، ٢٧.

(٥٦) ابن عذاري، *البيان المغرب*، ٣ : ٢٦٤، ٢٦٥؛ ابن خلدون، *العبر*، ٦ : ٢١٣؛ عطية الله، *القاموس الإسلامي*، ٤ : ٥٥٦؛ *دائرة المعارف الإسلامية*، ٤ : ٢٥٥.

(٥٧) ابن الخطيب، *الإحاطة*، ٣ : ٣٨٠، ٣٨١؛ *مجلة الأندلس*، ٤، ق١ (١٩٣٦م)، ١٢٤.

(٥٨) ابن بلقين، *التبيان*، ١٩٩.

إلى أمير المرابطين يوسف بن تاشفين عند دخوله بلاد الأندلس لتخليصها من ملوك الطوائف : « وقد خفف الله عني بقلة العيال و لا خير في الغرر «الاغترار» بمال لا أدري إن بقي معي مع اختلاطه و كثرة اشتباهه ، و كثرة المال إنما تحتاج للمملكة و الأجناد ، فالآن قد أزاح الله عني ذلك ، و لم يبق إلا طلب السلامة بحشاشة [٥٩] النفس و هي الغنية في مثل ذلك الوقت الحاد . »[٦٠]

استمر حكم الأمير عبدالله أربع عشرة سنة ، حيث تولى الحكم فيها عام ٤٦٥هـ/ ١٠٧٣م و عزل عنها على يد يوسف بن تاشفين سنة ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م و تم نفيه إلى مدينة أغمات في جنوب المغرب الأقصى فقضى بقية حياته هناك .[٦١]

صور الأمير عبدالله الحالة التي كانت عليها جزيرة الأندلس عند توليه الإمارة عليها ، و تحدث عن المشاكل الخارجية و الداخلية التي واجهته أثناء حكمه لها و كيفية تصرفه حيالها ، فكان ذلك بمثابة الضوء الذي استطعنا من خلاله التعرف على السمات العامة لشخصية الأمير عبدالله ، سواء الإيجابية منها أو السلبية .

السمات الإيجابية في شخصية الأمير عبدالله بن بلقين

و مما يبدو أن الأمير عبدالله كان واقعيا في تحليله لكثير من الأمور ، حيث يرى أن الثناء و التمجيد لا تحظى به الدولة من قبل الناس إلا في المدة التي تكون فيها الدولة متمكنة من السلطة و في عز سيطرتها و أيام سعادتها . فلا يقع عليها ذم أو افتقار حتى و إن كانت ظالمة مستبدة ، و أن الدولة متى زال حكمها و انتزعت سيطرتها يلحقها الذم و الانتقاص حتى و إن كانت عادلة إلا من أناس قلة يتصفون بالإخلاص و الأمانة ،[٦٢] و هذا النوع - كما يراه الأمير عبدالله- قلة و ربما قصد من وراء ذلك التحليل الدفاع عن نفسه و الرد

---

(٥٩) حشاشة النفس : روح القلب ، ورمق حياة النفس ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة حشش ، ١ : ٦٦٤ .

(٦٠) ابن بلقين ، *التبيان* ، ١٥٤ ، ١٥٥ .

(٦١) ابن بلقين ، *التبيان* ، ١٦٠ ؛ المقري ، *نفح الطيب* ٤٢٠ ؛ ابن خلدون ، *العبر* ، ٦ : ٢١٣ ؛ ابن الخطيب ، *الإحاطة* ، ٣ : ٣٨٠ ، ٣٨١ .

(٦٢) ابن بلقين ، *التبيان* ، ١٣ .

على من اتهمه بالنقص و التقصير و الفساد أثناء حكمه لمدينة غرناطة .

نظرة الأمير عبدالله بن بلقين للأمور السياسية

أشار الأمير إلى أنه من خلال الحوادث السياسية التي شهدها و التي عاش أحداثها أنه لا راد لقضاء الله و أن الإنسان لا يستطيع أن يدفع عن نفسه شيئا إذا أراد الله به أمرا مستشهدا على ذلك بتلك الظروف السيئة التي أحاطت بأبرز ملوك الطوائف المعتمد ابن عباد (٦٣) و ما انتهى إليه أمره على إثرها مستشهدا بقول الشاعر الجاهلي زهير : (٦٤)

و أعلم علم اليوم و الأمس قبله   و لكنني عن علم ما في غد عم

و يبدو أن للأمير عبدالله نظرته السياسية المتميزة حيث إنه يرجع الأمور السياسية والتي تحدث في العالم إلى أبسط الأسباب مشيرا إلى أن الذكي و صاحب الحظ قد يصل إلى غايته بأبسط الأمور ، كما حدث مع المنصور بن أبي عامر عندما استولى على السلطة من الأمير هشام بن الحكم (هشام المؤيد) . و في غالب الأمر كان الأمير عبدالله صاحب حكمة في النظر لبعض الأمور حيث إنه يحض على التعلم من التجارب التي تمر على الإنسان و أخذ العظة منها و سؤال الفرد عن كل ما يجهله أو يغمض عليه فهمه مستندا لقوله تعالى ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ . (٦٥)

---

(٦٣) المعتمد بن عباد : هو المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن المعتضد بن عمر بن عباد ، ابن القاضي أبي القاسم بن عباد ، بويع بالملك على أشبيلية بعد وفاة والده المعتضد ، و كان أديبا و شاعرا عزل على يد أمير المرابطين يوسف بن تاشفين ، حيث نفاه إلى مدينة أغمات ، فتوفي بها ؛ المقري ، *نفح الطيب* ، ٤ : ٤٢١ ؛ ابن بسام ، *الذخيرة* ، ١ : ٢ : ٩٤٢ ؛ عنان ، *دول الطوائف* ، ٤١٤ ؛ عدنان درويش و محمد المصري ، *تاريخ الأندلس من نفح الطيب للمقري* (دمشق : منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية السورية ، ١٩٩٠ م) ، ٤٥٧ ، ٤٩٥ .

(٦٤) زهير الجاهلي : هو زهير بن أبي سلمى ، و اسم أبي سلمى ربيعة بن تاج بن قرة المزني ، كان من شعراء الجاهلية ، و قد عده نقاده أحد الثلاثة المتقدمين على سائر الشعراء الجاهليين ، اعتنق الإسلام و مدح الرسول صلى الله عليه و سلم في قصيدته المشهورة باسم (البردة) ؛ أبو الفرج علي بن الحسين ، *كتاب الأغاني* ، (بولاق ، د. ت) ، ٩ : ١٤٦ ، ١٥٨ ؛ *دائرة المعارف الإسلامية* ، ١١ : ٤٥٩ .

(٦٥) سورة النحل ، آية ٤٣ .

كما أنه كان كثيرا ما يلتزم جانب الحذر في الحوادث التي مرت به أثناء حكمه لمدينة غرناطة و ما يتبعها من ولايات ، فمن هذه الحوادث على سبيل المثال اعتراضه على الاقتراح الذي تقدم به قائد جنده و يدعى القليعي و الذي استغل سلطته و مكانته في الدولة فقام باضطهاد الجند و استولى على كثير من أملاكهم و ضمها إلى ممتلكاته فكتب القاضي ابن سهل (٦٦) خطابا للأمير عبدالله يصف فيها الأحوال السيئة التي وصل إليها الجند على يد قائده القليعي ، فاستدعاه الأمير عبدالله و قال له : « نحن بحال لا يرضى عنا فيها لا رعية و لا جند ، و في هذا الفساد القطع . » ففهم وزيره القليعي قصده ، فطمأنه إذا ما تمرد عليه الجند و خرجوا عن طاعته فسيقوم باستدعاء جند غيرهم من العدوة . (٦٧) و ضمن له القليعي إحضارهم من ماله الخاص ، و لكن الأمير عبدالله رفض ذلك الأمر لإدراكه لما كان يخطط له وزيره القليعي حيث علق الأمير عبدالله على تلك الحادثة : « أن من غير الصالح له - أي الأمير عبدالله - الاستغناء عن جنده و الحفاظ على من يريد خلعه . » ويقصد به قائده القليعي حيث كان يهدد بخلع الأمير عبدالله بقوله : «و الله لأبلغن حفيد ابن باديس - و يقصد به الأمير عبدالله - الطينة السوداء ولأشوقه إلى الدرهم ينفقه . »

---

(٦٦) ابن سهل : هو عيسى بن سهل بن عبدالله الأسدي ، يكنى أبا الأصبغ ، سكن قرطبة ، أصله من مدينة جيان ، كان من جُلة الفقهاء و كبار العلماء ، حافظا للرأي ، ذاكرا للمسائل ، عارفا بالنوازل ، تولى الشورى بقرطبة ثم القضاء بالعدوة ، توفي سنة ٤٨٦ هـ . القاسم خلف بن عبدالملك بن بشكوال ، كتاب *الصلة* ، تحقيق إدارة إحياء التراث (القاهرة : الدار المصرية ، للتأليف و الترجمة ، مطابع سجل العرب ، ١٩٦٦م)، ٢ : ٧ : ٤٣٨ ، ترجمة رقم ٩٤٢ ؛ برهان الدين إبراهيم بن علي ابن محمد بن فرحون ، *الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب* (القاهرة : مطبعة الخانجي ، ١٩٥١ م)، ١٨٢ ؛ أبو الحسن بن عبدالله النباهي ، *المرقبة العليا ممن يستحق الفتيا (تاريخ قضاة الأندلس*) (بيروت : المكتب التجاري للطباعة و النشر و التوزيع ، د. ت.)، ٩٦ .

(٦٧) العدوة : العدوة تعني البر من حيث يجتاز البحر ، و عدوة المغرب الجزء الثاني من مدينة فاس التي تم بناؤها على يد الإمام إدريس بن إدريس ، بينما عدوة الأندلس هي الجزء الأول من مدينة فاس ، و تقع العدوة المغربية على الضفة المقابلة لنهر فاس و الذي كانت تسكنه قبيلة زواغة البربرية ، حيث قام الإمام إدريس بن إدريس بشراء الأرض منهم ؛ ابن خلدون ، *العبر* ، ٤ : ١٣ ؛ ياقوت ، معجم *البلدان* (مدينة فاس) ، ٤ : ٩٥ ؛ ابن أبي زرع ، *القرطاس* ، ٢١ .

و كذلك موقف الحذر من رجال دولته، و ذلك عندما علموا أن أمير المرابطين قد حجر عليه و على أمواله و شدد عليه الرقابة حتى يصل إليه ، حيث إن الأمير يوسف بن تاشفين قد عزم على غزو غرناطة و تخليصها و دول الطوائف الأخرى من سلطة حكامها الضعفاء، و ذلك عندما أدرك الأمير يوسف أن استمرار هؤلاء الأمراء في حكم الدولة الإسلامية في الأندلس سيكون سببا لسقوطها في أيدي أعدائها النصارى المتربصين بها وعلى رأسهم (ألفونس السادس) ملك مملكة قشتالة . فطلب كل واحد من رجال دولته منه أن يودع عنده شيئا من أمواله لإخفائها عن أمير المرابطين يوسف بن تاشفين و من ثم إرجاعها إليه بعد مغادرة الأمير غرناطة . و لكن الأمير عبدالله رفض تلك المساعدة منهم ، حيث أدرك أن الغرض من وراء تلك المساعدة ليس بدافع الشفقة عليه و إنما طمعا في نفوسهم للحصول على أمواله أو استغلالها للوشاية ضده عند الأمير يوسف بن تاشفين ، حيث أشار الأمير إلى ذلك بقوله : « و ليس نخلي عن دفع ذلك إليهم من وجهين إما فاسق يستأثر به دوني ، فتكون حسرتها في نفسي ، و لا نقيت بها وجهي ، و إما متبشك[٦٨] ببعضه يحمله للأمير ليتهنى به ما يبقى له ، عند ذلك نفتضح عنده ، و لا يقبل لنا صرفا و لا عدلا ، و ربما يحنق علي فيؤذيني بعد الأمان . »[٦٩] و كذلك موقفه الحذر من العرض الذي تقدم به ألفونس السادس ملك قشتالة و ذلك عندما علم بقدوم المرابطين للاستيلاء على غرناطة فعرض ألفونس السادس على الأمير عبدالله أن يتخلى له عن غرناطة ، مقابل أن يوفر له الأمان في نفسه و ماله و أهله و لكن الأمير عبدالله رفض ذلك العرض مبررا ذلك الرفض في قولة « فلو التقت الفئتان - و يعني المرابطين و جيوش ألفونس السادس - فلا بد أن يكون للطائفة الواحدة على الأخرى - و يقصد الغلبة و النصر - فلو أنها على الرومي ، ففي أثر ذلك لم يقدم على قتلنا شيئا بالحجة أننا اجتلبناه ، و لو أن الرومي يغلب فنبقى بعد ذلك في الملك ما شاء الله ، لم يطب لنا ملك و لا استحينا من الله و الناس أن يكون ذلك ببوار المسلمين و هلاكهم ، ثم أنه لا يصح لنا ثبوت معه- أي ألفونس السادس-

---

(٦٨) متبشك : البشك : الخلط بين كل شيء رديء و جيد ؛ ابن منظور ؛ *لسان العرب* ، ١ : ٢١٨ .

(٦٩) ابن بلقين، *التبيان* ، ١٥٤ .

و أي شيء كان يحجزه عنا ، و لا شيء ترتجى منه نزع أنفسنا منـه و لا بمن ننتصر لو همَّ بأخذ الكُلَ . »[٧٠]

تعرض الأمير لبعض الحوادث و التي أظهر فيها ضربا من الشجاعة و الإصرار على الرأي في بعض الأمور التي تستوجب الشجاعة و الحزم كسمة من سمات شخصيته ، فمنها على سبيل المثال حادثة مهاجمته للحصن الذي قام ببنائه كل من ألفونس السادس بالتواطؤ مع المعتمد بن عباد حاكم أشبيلية و ذلك عندما تم الاتفاق فيما بينهم على أن يدفع المعتمد بن عباد جزية فرضها عليه ألفونس السادس و مقدارها خمسون ألف دينار مقابل مساعدة ألفونس السادس له للاستيلاء على غرناطة[٧١] من يد الأمير عبدالله فأتموا بناء ذلك الحصن حول غرناطة ليمكنهم من محاصرتها إلى أن تستسلم لهم . فقام الأمير عبدالله عندما علم بذلك الحدث بتسيير جيش كبير للحصن و دخل في حرب مع أهـالي الحصن ، ولكنه لم ينتصر فعاد إلى غـرناطة .[٧٢] و كذلك مشاركته في معركة الزلاقة و حصار حصن لييط ،[٧٣] و استل سيفه في وجـه النصارى و ذلك فى معركة بنبل .[٧٤] و هذا

---

(٧٠) ابن بلقين ، *التبيان* ، ١٥٣ .

(٧١) عنان ، *دول الطوائف* ، ٧٣ ، ٧٤ ؛ ابن بلقين ، *التبيان* ، ٧٢ ؛ رجب عبدالحليم ، *العلاقات بين الأندلس الإسلامية و أسبانيا النصرانية ، في عصر بني أمية و ملوك الطوائف* (بيروت : دار الكتاب اللبناني ، د. ت.) ، ٣٧٩ .

(٧٢) ابن بلقين ، *التبيان* ، ٧٠ ؛ عنان ، *دول الطوائف* ، ١٤٣ ؛ يذكر عنان أن الأمير عبدالله بن بلقين تمكن من دخول الحصن و الاستيلاء عليه ، و هذا ما يخالف ما ذكره الأمير عبدالله ، حيث ذكر أنه لم يتمكن من دخول الحصن و ربما رواية الأمير عبدالله هي أقرب للصحة ، حيث إنه شهد هذه الحادثة و عايش أحداثها .

(٧٣) ابن بلقين ، *التبيان* ، ١٠٤ ، ١٠٨ . و حصن لييط : يقع شرق الأندلس قريبا من مدينة مرسية ، قام ببنائه ألفونس السادس ، ملك ملوك قشتالة ، لتكون قاعدة للإغارة عـلى شرق الأندلس ، وكان بناؤه في مكان يسمى لللييط Aledo ، شحنه بالمقاتلين ، الذين زاد عددهم على ثلاثة عشر ألف مقاتل ؛ ابن الخطيب ، *أعمال الأعلام* ، ٢ : ٢٥١ ؛ الحجي ، *التاريخ الأندلسي* ، ٤٢٢ .

(٧٤) ابن بلقين ، *التبيان* ، ١٢٩ ، و معركة بنبل ، لم أجد لها ذكرا في المصادر التي رجعت إليها .

قد ينفي عنه ما ذكره عنه ابن الخطيب نقلاً عن ابن الصيرفي قوله : « كان جبانا مغمد السيف قلقا، لا يثبت على الظهر ، عزوف، [٧٥] لا أرب له في النساء ، هيابة ، مفرط الجزع ، يخلد إلى الراحات و يستوزر [٧٦] الأغمار . » [٧٧] و كذلك موقفه مع ثوار جنود قبيلة زناته البربرية ، حيث إنه لم يتردد في القرار الذي اتخذه بشأن زعماء هذه الثورة و هو إخراجها من البلاد ، فأسند مهمة تنفيذ ذلك إلى وزيره لبيب الخصي حيث كلفه بنقل أمره إليهم . و لكن لبيب الخصي قام بتحريض من بقي منهم على الأمير عبدالله وشجعهم على مطالبتهم إياه بإرجاع من تم إخراجه من زعمائهم و محرضيهم أو أنهم سيلجأون إلى غيره من ملوك الطوائف . و لكن ذلك التهديد لم يؤثر على الأمير عبدالله أو يضعف من عزيمته فيتراجع عن رأيه . فقد أدرك الأمير عبدالله أن هذه حركة يراد بها تخويفه فعلق على هذه الحادثة بقوله : « و إن ذلك ترهيب ، وإن الرجوع عما أمرت به ليضربهم إلى غير ذلك مما يخل بالرأي و يكون لهم الصولة و الحماقة في المعصية . » [٧٨]

و قد تبين من هذه الحادثة جهل الأمير عبدالله ببعض الأمور السياسية، حيث قام بإسناد مهمة إخراج زعماء هذه الثورة إلى وزيره لبيب الخصي ، والذي كان أحد عبيده ، واضعا كل ثقته فيه ، و لم يقم بإسنادها إلى أحد من رجال دولته ممن يشهد لهم بالحكمة والفطنة و العلم ، فكان ذلك التصرف سببا في إشعال نار هذه الفتنة ضراوة على الأمير عبدالله .

---

(٧٥) عزوف : رجل عزوف عن اللهو إذا لم يشتهيه و عزوف عن النساء إذا لم يصب إليهن ؛ ابن منظور، *لسان العرب* ، ٢ : ٧٦٧ .

(٧٦) يستوزر : الوزير : حبأ الملك الذي يحمل ثقله و يعينه برأيه فاعتمد على رأيه في أموره . فقد استوزره ، ابن منظور، *لسان العرب* ، ٣: ٩١٩ . و الأغمار جمع غمر و هو الجاهل الغر الذي لم يجرب الأمور و ليس له تجربة بحرب أو أمر؛ ابن منظور ، *لسان العرب*، ٢ : ١٠١٥ .

(٧٧) ابن الخطيب، *الإحاطة*، ٣ : ٣٨٠ ؛ *مجلة الأندلس* ، ٤، ق ١ (١٩٣٦م)، ١٢٦ .
والصيرفي : هو أبو بكر يحيى بن محمد الصيرفي من أكابر علماء غرناطة، عمل كاتبا لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين اشتهر بمؤلفه *الأنوار الجليلة في أخبار الدولة المرابطية* ، توفي عام ٥٥٧هـ/ ١١٧٦م؛ *القاموس الإسلامي*، ٤ : ٣٨٥ ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، ٣: ١٨٠ ، ١٨٢ .

(٧٨) ابن بلقين، *التبيان* ، ١٣٢ .

و كذلك موقفه مع وزيره كباب بن تميت، و الذي استقل بحصن باجذونه [٧٩] وحصن أنتقيره [٨٠] و خرج عن طاعة الأمير عبدالله و قام بتأليب أعدائه عليه و عمل على زعزعة الأمن في الدولة، و ذلك بقطع الطرق على الناس و الاستيلاء على أموالهم. فحاول الأمير عبدالله استمالته إليه و أعطاه الأمان إن هو كف عن أعماله هذه و رجع إلى طاعته ، فعندما رأى الأمير عبدالله أن ذلك الأسلوب اللين لم يجد، بل تمادى في عصيانه، و ذلك بتهديده للأمير عبدالله بحرب طاحنة ضده، قرر الأمير اتخاذ موقف حازم ضده فعزم على منازلته ، و أخذ يعد العدة لذلك ، فدفع ذلك الموقف الصارم من قبل الأمير عبدالله وزيره كميت بن تميت إلى المسارعة بطلب العفو عنه .

و من الحوادث التي تبرز سمة من سمات شخصية الأمير عبدالله، و هي التأني والحلم و العفو عند المقدرة ، تلك الثورة التي قامت عليه في مدينة لوشة، [٨١] و التي عمل على إشعالها و التحريض عليها وزيره مؤمل. فتمكن الأمير عبدالله من إحباطها والقضاء عليها ، فسيق إليه الأسرى ، ففوض الأمير عبدالله أمرهم إلى أهل السنة للنظر فيهم ، فبعض منهم أفتى بقتلهم لأنهم مفسدون في الأرض ، و بعض منهم أفتى بنفيهم من البلاد ، فما كان من الأمير عبدالله إلا أن عالج هذه المشكلة بالتأني و الحلم ، حيث عفا عنهم مبديا حكمته في ذلك بقوله : «فآثرت الأليف و الحكمة و البعد عن الآثام ، وأن ذلك لا يفوت و من أخلاق الكرام التأني و العفو عند المقدرة.» [٨٢] و يذكر الأمير عبدالله

(٧٩) حصن برجذونة : نسبة إلى مدينة برجذونة التي تقع في ولاية مالقة ، تمتاز بجفافها ، و قلة مياهها ، و وعورة مسالكها ؛ العبادي ، *مشاهدات*، ٨٤ .

(٨٠) حصن أنتقيرة : نسبة إلى مدينة أنتفيرة، و هي مدينة عامرة بالسكان تمتاز بطبيعتها و مياهها ؛ العبادي ، *مشاهدات*، ٩٤ .

(٨١) مدينة لوشة : مدينة هامة على نهر شنبل ، تقع جنوب غرناطة تمتاز بأنهارها و جنانها ، الحميري، *الروض المعطار* ، ١٧٣ ، ١٧٤

(٨٢) ابن بلقين، *التبيان*، ١٣٨ . و مؤمل : أحد وزراء الأمير عبدالله بن بلقين ، و من المقربين له ، كان أحد عبيد جده باديس بن حبوس، ذكر عنه الصيرفي أنه امتاز بالذكاء و الفطنة و بعد النظر ، توفي بغرناطة ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، ٣ : ٣٧١ ، ٣٧٦؛ *مجلة الأندلس*، ٤ : ق١ (١٩٣٦م)، ١٢٩ .

أن الذي أدى إلى ذلك التصرف هو خشيته مـن الله و مخافته إياه حيث يقول : « و كم عسى العيش في هذه الدنيا و النجاة بالنفس في دار الدنيا و تخليصها من الأوزار في الآخرة لا يبلغ ذلك شيء و لا يعدله . »(٨٣)

موقف الأمير عبدالله بن بلقين من العلوم الدينية والعلوم الدنيوية

الذي يبدو لنا من كتابه *التبيان* أن الأمير عبدالله كان صاحب ثقافة عالية و اطلاع واسع ، ملما بكثير من العلوم الدينية ، إلى جانب العلوم الأخرى كالفلسفة و الفلك ، إضافة الى مهارته الأدبية في التأليف و قرض الشعر ، و قد عبر عن ذلك ابن الخطيب نقلاً عن الصيرفي بقوله : « كان يكتب الشعر و يشعر و يتحدث فيما يتحدث فيه الطلبة . »(٨٤) إلى جانب ذلك كان على درجة عالية من البلاغة و المعرفة الى جانب تميزه بحسن الخط وهذا ما أشار إليه ابن الخطيب نقلاً عن الغافقي بقوله : « إنه قد حاز حظا وافرا من البلاغة والمعرفة ، شاعرا جيد الشعر مطبوعه حسن الخط كانت بغرناطة و معه مصحف بخطه في غاية الصنعة و الإتقان . » (٨٥) و كثيرا ما كان يستشهد بالآيات القرآنية على كل حادثة يوردها ، فيذكر أن الذي لا يعرف دنياه ، التي نشأ فيها و أدركها ببصره و جميع حواسه ، فهو لآخرته أجهل ، حيث إنها لا نعرف إلا بالتفكير و الاعتبار ، وهو ما حض عليه الكتاب - و يقصد به القرآن الكريم - و أتى به الرسول عليه السلام مستشهدا بقوله تعالى ﴿ **إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَاب** ﴾ . (٨٦)

يرى الأمير عبدالله أن الأصل في العلم و الدافع له هو أولاً و قبل كل شيء معرفة الإنسان لدينه ، و أن يتخذه وسيلة معرفة للانتفاع به في دنياه فيما يعود عليه بالنفع لآخرته ، وأن فضل العلم يعود على الإنسان عندما يعمل به ، و يبين ذلك بقوله : «و الرجال

(٨٣) ابن بلقين، *التبيان*، ١٥٢ .

(٨٤) ابن الخطيب ، *الإحاطة* ، ٣ : ٣٧٦ ؛ ابن الخطيب ، *أعمال الأعلام*، ٢ : ٢٣٥ ؛ *مجلة الأندلس*، ٤ ، ق ١ (١٩٣٦م)، ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٨٥) ابن الخطيب، *الإحاطة* ، ٣ : ٣٨٠؛ *مجلة الأندلس* ، ع، ق١ (١٩٣٦ م) ، ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٨٦) سورة الرعد، آية ١٩ .

ثلاثة : رجل علم فعمل ، فذلك الذي يدعى في الملكوت ، و رجل علم ولم يعمل ، فذاك الذي يضاعف له العذاب و رجل لم يعلم و لا عمل ، فذاك إن مات يموت ميتة جاهلية ، ولا تصح له معرفة دينه إلا بأن لا يقدح فيه كافر و لا كعطل فإذا حسن تمييزه عن الصنف الملحد ، عرف فضل ما هو عليه ، فاتبع على يقين وجـودة نظر ، لا باستهزاء ولا تقليد فيعجز و يشك . »[٨٧]

كما يبدو من خلال كتابه هذا أنه صاحب عقيدة إسلامية صحيحة ، فهو عندما يتحدث عن الدين الإسلامي و عن الرسالة المحمدية يبين أن الإسلام هو الدين الخالد و أن الرسالة النبوية الكريمة هي الرسالة الحقة ، و أن الله سبحانه و تعالى ختم الرسالات بالنبي محـمد (صلى الله عليه و سلم) ليبين للخلق الطريق السوي الصحيح و ليوضح لهم ما فرض عليهم ، و ليظهره على الدين كله ، و أورد من الآيات القرآنية الكريمة شاهدا على ذلك كقوله تعالى : ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** ﴾ [٨٨] و قوله تعالى : ﴿ **وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾ . [٨٩]

و للأمير عبدالله أسلوب جيد في المناقشة و إبداء الرأي ، حيث يستنكر على الذين يقولون إن محمدا (عليه الصلاة و السلام) كان رسولاً للعرب فيناقش ذلك القول بموضوعية واضحة ، حيث يذكر أن الحجة عليهم في ذلك ظاهرة فيما يتفق مـع العقل والقياس . و يبين أن رسالته للخلق أجمع ، و يذكر أن أدلة ذلك قد جاءت في آيات كثيرة لا توصف كقوله سبحانه و تـعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا** ﴾ [٩٠] وقوله عليه الصلاة و السلام : « بعثت في الأسود و الأبيض ، و الحـر و العبد . »[٩١] فيذكر أن

(٨٧) ابن بلقين ، *التبيان* ، ٣ ، ٤ .

(٨٨) سورة المائدة ، الآية ٤٨ .

(٨٩) سورة فاطر ، الآية ٢٤ .

(٩٠) سورة سبأ ، الآية ٢٨ .

(٩١) لم أجد حديثا بهذا اللفظ ، و إنما ذكره ابن الأثير بلفظ « الأحمر و الأسود » و ليس فيه ذكر للحر و العبد ، قال ابـن الأثير : ((أراد بالحمر و الأسود جميع العالم .)) ابن الأثير : أبو السعادات المبارك محمد بـن الأثير الجزري ، *جامع الأصول في أحاديث الرسول* ، حققه و شرح =

ذلك مبطل لحججهم فلا يصح لهم الإنكار جملة ولا الإيمان بأمر دون أمـر ، ويستطرد الأمير في ذلك مبينا أن نـعم الله على خلقه أن بعث فيهم الرسل ، ليستنير الناس بما جاؤوا و يزيل عنهم الشك في وحدانية الله و في ذلك رحمة من الله بعباده ، لأن الناس لو تركوا على قياسهم ، و ما تدركه عقولهم لكان خوضهم في هذا المعنى قليلاً و تمثلاً بقوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ . (٩٢) فيوضح الأمير عبدالله رأيه في تلك المسألة قائلاً : «فمن عرف الله قبل بالعقل أتم الله عليه نعمته ، فقد عرفه نفسه باليقين وبشره بالثواب ، و أنذره العقاب ، ليرتفع الشك ، و يوقن بالميعاد و لينقاد إليه عامة الناس طوعا أو كرها . »(٩٣)

و يستنكر على الذين يقولون بالظن في أمور الدنيا دون أن يعتمدوا على يقين واضح ، فكيف بالأمور التي تخص الآخرة ، و يذكر أن الظن أكذب الحديث و الشرع و من عمل به خسر ، لأن خلق الله للناس و حكمه فيهم لا يحكم فيه على القياس ، و يبين أن الطريقة الصحيحة هي الطريقة القويمة التي اتبعها أهل السنة ، حيث إنهم يصدرون أحكامهم على قواعد متينة قائمة على ما بأيديهم من القرآن الكريم و الأحاديث النبوية الشريفة . لذلك فهم أوضح و أصـدق مـن غيرهم ، لأنهم معتمدون في كلامهم و أحكامهم على الأصل بعكس الذين يعتمدون على القياس .

و يستطرد الأمير في الرد على تلك الأمور التي تتعلق بالعقيدة الإسلامية مجادلاً الملحدين الذين لا يؤمنون بالغيب فيرجعون ما يعملونه إلى ماتدركه حواسهم ، و ما تدركه عقولهم بناءً على ما تدركه حواسهم فهم يعلمون ما يدركونه بعقولهم ، و أنه لا علم لهم بما يكون ، فهو يرد عليهم بقوله : « إذا عرفت بالعقل ما أنت فيه ، لم يكن لك شيء متقدم تعرف به العقل و لا استطعت لنفسك و لا علمتها قبل فتركب فيها عقـلاً وتدبيرا

= أحاديثه عبدالقادر الأرناؤوط ،«دمشق : نشر و توزيع مكتبة الحلواني و مكتبة دار البيان ، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م)، كتاب الفضائل، الباب الثالث ، فضـائل النبي صلى الله عليه و سلم في النوع الثاني ، حديـث رقم ٦٣٢٩ ، ٥٢٨ .

(٩٢) سورة الزخرف، آية ٨٧ .

(٩٣) ابن بلقين، *التبيان*، ٦ .

وواهب العقل الذي خلقك و دبرك كيف شاء قـــادر على أن يعيدك و لا يجعلك هملاً»[٩٤] إلى أن يقولا : « و لو أنك تعلم أيها الشقي أن العقل الذي إذا جحدت به آيات ربك كان عليك و حَمّل يوم القيامة ، وهـو قوله تعالى : ﴿ **فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ** ﴾[٩٥] و قال : ﴿ **وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ** ﴾ .[٩٦] كما جادل و ناقش أهل الطَبيعة الذين يقولون : « إنها أعلم مـن كل عليم ، و أحكم من كل حكيم ، فنجع من فعلها في الأبدان تـــدركه الأطباء باجتهادها . »[٩٧] وكذلك قول بعضهم في الطبيعة : « إنها اسم واقع على غيره شيء لا يـــدري ما هو » فجاءلهم بقوله : « أهي طبيعة واحدة أم طبائع كثيرة ، بل سيقولون لكل شيء طبيعة ، فأرى أضدادا لا تصح لأحدها إلاهيته ، و غيرها مناقض لها . و هي كانت حجة إبراهيم - عليه السلام - على قومه ورده على من قال إن الشمس هي حياة العالم دون غيرها فقال- عليه السلام - أرى الظل يفعل ضد ما تفعله الشمس ، و الخالق لا يضاد . »[٩٨] فيتبين من رده هذا أنه يثبت الوحدانية لله عز و جل بالدليل الواضح القاطع . كما كان الأمير صاحب مراس في المجادلة و المحاجة و إبداء الرأي ، حيث قام بمحاجة الذين بنوا فكرة القياس على العقل دون الرجوع إلى الحق مـن الكتاب و السنة ، فيصفهم بأنهم مستضعفون لا يطيقون نص ما عهد من الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ،[٩٩] فخاطب تلك الفئة بقوله : « و لو أنك تعلم أيها الشقي أن العقل . . . . »[١٠٠]

و يبدو لنا أن الأمير عبدالله صاحب اتجاه ديني قوي ، حيث جعل معرفة الإنسان لدينه أساس المعرفة كلها ، و أقر بذلك و حث عليه ، و ذلك بأن ينتفع بـدينه في حياته الدنيوية ، و يعمل لآخرته . و حث على أن يكون دين الشخص خاليا من كل ما يتعلق به

---

(٩٤) ابن بلقين، *التبيان*، ٧ .

(٩٥) سورة الأحقاف، من الآية٢٦ .

(٩٦) سورة يس من الآية ٧٨ .

(٩٧) ابن بلقين، *التبيان*، ٧ ، ٨ .

(٩٨) ابن بلقين، *التبيان*، ٨ .

(٩٩) ابن بلقين، *التبيان*، ٨ .

(١٠٠) ابن بلقين، *التبيان*، ٦ .

من شوائب الشرك و البدع و الخرافات ، حيث يذكر أن الدين الصحيح هو ذلك الدين الذي لم يخالطه قول ملحد و لا كافر ، فعند ذلك يطبق الإنسان دينه تطبيقا صحيحا بقناعة تامة من نفسه ، دون استهزاء أو تقليد للآخرين ، فيؤدي ذلك إلى عجزه عن مواصلة عمله ، بل يدخل الشك في عقيدته .

كما يبدو لنا أن الأميرعبدالله صاحب غيرة شديدة على الإسلام ، متحمسا للرد على كل من يحاول المساس به ، خاصة الأصناف الملحدة من المشركين الذين زعموا أنه ليس بعد نبيهم عيسى نبي ولا رسول ، فجاء رده مدعما بالحجج و البراهين الكثيرة التي تدحض آراءهم و أقوالهم . (١٠١)

و على الأرجح أن الأمير عبدالله كان له ملكة شعرية جيدة ، حيث يذكر أنه قام بتصوير بعض أحداث الأندلس في دولته بصفة خاصة في أبيات شعرية قام بنظمها في أوقات فراغه . و يذكر أنه لم يزاول الشعر قبل توليه الحكم ، و إنما قاله بعد أن تولى زمام الأمور في دولته ، و ذلك في أوقات راحته بعد الشغل حيث يقول : « نقطع بذلك الزمان عند الفراغ من الشغل ، و نضيف معها لمعا من آداب و سير تحضرني ، مما يختلج في الخاطر ، و يجربها الإنسان بصحبة الزمان و تنقله في الحالات . » و يستشهد بأنه قيل لرجل : من أين لك هذا العلم ؟ فقال : قلباعقولا . ولسانا سؤولا ، (١٠٢) و لكن للأسف لم يذكر شيئا من القصائد التي نظمها ، و إنما اكتفى بأنه ذكر أنه قارض للشعر فقط .

كما كان صاحب اطلاع واسع على البروج و ما تتحدث عنه ، و قد زاد تعمقه في دراستها و مطالعتها عند نفيه إلى مدينة أغمات في المغرب على يد يوسف بن تاشفين ، (١٠٣) و ربما دفعه لذلك قلقه على مستقبله .

و يتضح لنا أن الأمير عبدالله له معرفة بالألفاظ اللغوية . حيث قام بتعريف الفلك و ذلك عندما تحدث بإسهاب شديد مما يدل على اهتمامه الشديد بعلم الفلك و ما يتحدث عنه و كذلك تعريفه لكلمة «سماء ،» حيث ذكر أنها سميت بذلك الاسم ،

---

(١٠١) ابن بلقين ، *التبيان* ، ٤ .

(١٠٢) ابن بلقين ، *التبيان* ، ١٧٨ .

(١٠٣) ابن الخطيب ، *الإحاطة* ، ٣ : ٣٧٥ ، *مجلة الأندلس* ، ٤ ، ق١ (١٩٣٦م) ، ١٢٦ ، ١٢٧ .

لارتفاعها ، حيث إن العرب تطلق على كل ما ارتفع سماء . (١٠٤) كما كان له اطلاع على الثقافات الأخرى . (١٠٥)

كما ذكر رأيه في علم الطب ، فبين أنه لا يكون إلا صحة للبدن إذا لم يحل أجل الفرد ، و أنه لا يفيد شيء إذا حل الأجل . (١٠٦) و أبدى رأيه في تناول الأغذية و الإكثار منها ، و بين أنها الأكثر تسببًا في مرض الإنسان و سقمه . و استشهد على ذلك بكثير من آراء الحكماء و بحديث الرسول الكريم صلى الله عليه و سلم : « أصل كل داء البرودة ، وأصل كل دواء الحمية . »(١٠٧) كما أبدى رأيه في النبيذ بعد أن ذكر عدة آراء لعدد من الحكماء ، منها قول أحد الحكماء : إنه سئل عن الخمر فعابها ، إلا أنه قال : إذا أخذت كيف ينبغي و مع من ينبغي ، قال : فلا بأس بها ، تفرح النفس و تذهب بالهموم ، فأنكر عليه الأمير عبدالله هذا الرأي و استقبحه منه ، و بين أنه لا خير فيما لا تبيحه الشريعة ، و رد على من قال : إن الشراب يسلي الهموم بقوله : « وأنا أقول : إنها تهيج الهموم . »(١٠٨)

---

(١٠٤) ابن بلقين ، *التبيان* ، ١٨١ و ما بعدها .

(١٠٥) ابن بلقين ، *التبيان* ، ١٨٨ .

(١٠٦) ابن بلقين ، *التبيان* ، ١٨٤ ، ١٨٧ .

(١٠٧) قال العجلوني في *كتاب كشف الخفاء* ، ١ : ١٣٢ ؛ «أصل كل داء البردة» رواه أبو نعيم ، والدارقطني في العلل وسنده ضعيف ، قال الدارقطني كغيره الأشبه بالصواب أنه من قول الحسن البصري . وقال في ٢ : ٢١٤ بعد كلام عن حديث المعدة بيت الداء وأورد في كتاب *إحياء علوم الدين* من المرفوع «البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا كل بدن ما اعتاد » قال مخرجه لم أجد له أصلاً .

(١٠٨) نجد أن الأمير عبدالله بن بلقين يناقض نفسه في عدد من المسائل فهو عندما يتحدث عن إنكاره الشديد للمنجمين حيث يذكر أن الغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه و تعالى ، نجد أن هذا الإنكار في الغالب لم يكن صادرا عن اقتناع تام منه ، بدليل أنه كان يعتقد بصحة ما يذكره المنجمون ، حيث ذكر أنه عرف كثيرا عن حياته و مستقبله من خلال قراءته لبرجه الحوت ، و أنه لم يشك في شيء تحدث عنه ذلك البرج ، *التبيان* ، ١٧٩ و ما بعدها . و ربما دفعه إلى ذلك قلقه على حياته و مستقبله ، حيث كان يتحدث عن البروج حديث المسلم بموضوعاتها ، كذلك عندما تحدث عن الخمر =

و يبدو أن للأمير عبدالله ثقافة دينية واسعة ، فقد أجرى حوارًا بينه و بين أحد المنجمين ، و ذلك بعد أن ذكر الأمير عبدالله لأحد المنجمين بأنه على غير شيء ، و أنهم غير صادقين فيما يقولون ، فرد عليه المنجم بأنهم لا يقصدون بقولهم إن الكواكب فاعلة ، أو أن أحدًا منهم يعلم علم الغيب ، و إنما يقصدون بعلمهم أن الكواكب مصرّفة للأمور فقط ، و ليست مقدّرة لها ، و أن كل ما يقولونه يشبه ما يقوله أهل السنة ، فرد عليه الأمير عبدالله بأنهم فيما يتحدثون عنه من التنجيم قد خالفوا القرآن الكريم ، و ذلك لقولهم يكون و لا يكون و استشهد الأمير عبدالله بقوله تعالى : ﴿ **قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾ . (١٠٩) فلم يعدم المجادلة حجة فذكر الأمير أن كل مفتون ملقن حجته بقوله تعالى : ﴿ **وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً** ﴾ . (١١٠)

كما تناول بالحديث الجن ، و أنكر على الحكماء إنكارهم على الناس رؤية الجن ، وتكذيب من يقول بسماع نطقهم أو كلامهم على ألسنة البشر ، فأنكر عليهم ذلك واستهجنهم فيه و بين أن من يعتقد ذلك فهو مخالف للإسلام ، و بين رأيه في حقيقة الجن وأن وجودهم شيء صحيح و أن من ينكر وجودهم مخالف للقرآن و السنة و استشهد على وجودهم بآيات من القرآن الكريم ، كقوله تعالى : ﴿ **عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ** ﴾ (١١١) و قوله تعالى : ﴿ **يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ** ﴾ . (١١٢) و ذكر أن الجن أحد الثقلين اللذين بشرا بالثواب و أنذرا بالعقاب و خوطبا فيما خوطب به الإنس مستشهدا

= نجد أنه يستنكر على من يقول إنها تفرح النفس و تذهب الهموم فأنكر عليه الأمير عبدالله هذا الرأي و استقبحه منه ، و قال إنه لا خير فيما لا تبيحه الشريعة الإسلامية ؛ ابن بلقين ، *التبيان* ، ١٨٥ ، لكن نجده يرد على نقاده و الذين اتهموه بشرب الخمر و منادمة الصبيان بقوله : « و أما منادمة الصبيان فإن لم يكن به من استعمال شيء من الخمر . . . . . » ابن بلقين ، *التبيان* ، ٢٠٢ .

(١٠٩) سورة النمل ، من الآية ٦٥ .

(١١٠) سورة الكهف ، من الآية ٥٤ ؛ ابن بلقين ، *التبيان* ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ .

(١١١) سيورة النمل ، من الآية ٣٩ .

(١١٢) سورة الأعراف ، من الآية ٢٧ .

بالآية الكريمة ، وهي قوله تعالى : ﴿ **يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي** ﴾ . (١١٣)

كما ناقش بأسلوب علمي مقنع فكرة من قال إن لذة الحياة الدنيا تتمثل في جمعها والتمتع بملذاتها ، فبين خطأ هذه النظرية . و قام بمناقشتها بنقاش يتسم بالصدق والصراحة و التعقل ، و حث على الزهد في الدنيا ، و بين أن الزهد الحقيقي يكون فيما تحبه النفس ، و بين أن النفس لابدّ و أن تميل إلى ما فيه سرورها و استشهد بالآية الكريمة ، وهي قوله تعالى : ﴿ **وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ** ﴾ . (١١٤) و بين أن النفس البشرية تتوق دائما إلى ما تكون محرومة منه و لكنها إذا أدركته انصرفت عنه لبلوغ نهمتها ، و متى امتنع عليها كانت به أشدّ كلفا و رغبة في الحصول عليه . (١١٥) كما و يبدو من حديثه في ذلك الموضوع أن له اطلاعا على الثقافة النصرانية بدليل استشهاده على ما ذكر بقول المسيح عليه السلام : « الدنيا قنطرة فاعبروها و لا تعمروها ، » و قول كل من أفلاطون وأرسطو عن المخلوقات . (١١٦)

و يتميز أسلوبه في التأليف بالصراحة التامة و المنطق البسيط ، خاصة فيما يتعلق بالأمور الدينية ، و نلحظ قوة العبارة في أسلوبه إلا أنه لا يخلو من بعض الجمل الغامضة التي يصعب على القارىء فهمها بسهولة .

وأشار في كتابه إلى القواعد الرئيسية للكاتب الناجح ، و هي الصراحة في القول مع التزام الصدق فيه ، فهو كثيرًا ما كان يشير في كتابه إلى حرية الكلمة ، و إلى الشجاعة في إبداء الرأي ، و عدم التخوف في ذلك ، لأن الخوف في رأيه سبيل للقلق و نكد العيش . و يرى أن الشجاعة في إبداء الرأي ليس معناها الانحراف التام من لدن الكاتب فيما توحي إليه نفسه ، على حد تعبيره ، بل عليه التزام الحذر حتى لا تؤدي صراحته إلى ما يستفيد منه غيره و تصلح به حاله ، بينما يعود بالضرر على نفسه دون أن يشعر

---

(١١٣) سورة الأنعام، من الآية ١٣٠ .

(١١٤) سورة العاديات ، من الآية ٨ .

(١١٥) ابن بلقين، *التبيان* ، ١٩٦ .

(١١٦) ابن بلقين، *التبيان* ، ٨ .

بذلك .[١١٧] و يرى أن الكاتب الناجح في نظره هو الذي يجمع بين شيئين ، و هو بلوغ أمله و الوصول إلى ما يهدف إليه دون أن يترك فرصة لعدو من خلالها إلى إلحاق الضرر به .

و يرى الأمير عبدالله أن الصدق و تحري الحقائق و التأكد من حدوثها هي من أهم المميزات التي يجب أن يلتزم بها المؤلف ، فعلى المؤلف أن يتحرى الصدق في كل حادثة يذكرها ، لأن هناك حوادث تاريخية مختلفة فليست كل حادثة يسمع عنها تكون صحيحة فربما تكون مدسوسة على صاحبها .

كما يرى أن من مميزات الكاتب الناجح عدم تكرار ذكر الحوادث التاريخية ، أو الإكثار من ذكر الحوادث المختلفة ، التي تحدث في موضوع واحد ، حيث يرى أن الغرض من التأليف هو كما يذكر : لبيان حقيقة غامضة ، أو لتبرئة شخص مما أسند إليه من تهم يكون عاجزا عن الدفاع عن نفسه ، و ذلك إما لموته أو لغيابه ، فعند ذلك يجب على المؤلف أن يذكر هذه الحادثة مبينا الحقيقة فيها ، و هذا يبرر عدم ذكره لكل الحوادث التي مرت بها دولة بني زيري في كتابه ، فيبرر ذلك بأنه ليس عجزا منه ، و إنما هو للمنهج الذي ذكره و الذي يجب اتباعه في التأليف . كما يرى أن من أسباب نجاح المؤلف عدم الانحياز لطرف دون الآخر في ذكر القضايا التاريخية بحيث ينحاز إليه على حساب غيره .

و للأمير عبدالله وجهات نظر عامة في أسلوب المؤرخ ، إذ يرى أن السجع يضر بالمعنى وإن أتى به فإنما يسوقه بعد تخليق عليه و ربما وضعه في غير شكله و إذا تم المعنى نقص بعض اللفظ « كما قيل : إذا تم العقل نقص الكلام . »

تلك هي الحوادث و التي يبدو أنها تمثل السمات الإيجابية في شخصية الأمير عبدالله ، وسنتناول فيما يأتي من بحثنا ما لعله يترجم عن السمات السلبية في شخصية هـذا الأمير و ربما كان من الملائم أن نذكر أنفسنا بما قلناه في صدد هذا البحث في أن الحكم على الأخبار و الأقوال و التي سجلتها لنا المصادر التاريخية إنما يكون أقرب إلى الواقع إذا عرفت العوامل المؤثرة في تلك الأحداث و هو ما لا تجود به المصادر التاريخية إلا قليلاً .

---

(١١٧) ابن بلقين ، *التبيان* ، ٢ و ما بعدها .

السمات السلبية في شخصية الأمير عبدالله بن بلقين

فمن الحوادث التي مرَّبها الأمير عبدالله أثناء حكمه لمدينة غرناطة و التي من الأرجح أن تؤخذ عليه كمثالب لشخصيته هو تخاذله و تهاونه في بعض الأمور و التي تستدعي أن يقف منها موقفا صارما قويا وخصوصا تلك الأحداث التي قد تكون بداية لإثارة الفتن واختلال الأمن في دولته .

تغاضي الأمير عبدالله بن بلقين عن بعض الحوادث التي توجب إيقاع الحد

فكثيرا ما كان الأمير عبدالله يتغاضى عن بعض الحوادث و التي توجب إيقاع الحدّ على مرتكبيها كالسياسة التي اتبعها مع وزيره سماجة الذي كان يعمل على فرض سيطرته على الأمير عبدالله مستغلاً صغر سنه و طمعا منه في الاستيلاء على دولته .(١١٨) ولكن و بعد أن شب الأمير عبدالله و قوي عوده رأى وزيره سماجة أن الأمر لم يعد في صالحه ، فشكا ذلك إلى أصحابه من الوزراء فأشاروا عليه باتباع سياسة المدارات و الانصياع لطاعة الأمير و العمل بشغله بحياة اللهو و النساء حتى يستطيع بتلك السياسة كسب محبته وتفويض الأمر إليه . فعمل الوزير سماجة على تنفيذ تلك السياسة كما دبر خطة استهدف بها خيرة رجال دولة الأمير عبدالله من وزراء جدّ الأمير عبدالله و المخلصين له ، حيث أصدر كتابًا على لسان الأمير يأمر فيه بقتلهم . و مع أن الأمير عبدالله أدرك فيما بعد سوء نية وزيره سماجة و ما دبره ضده و أن ما قام به كان بمثابة المحذّر و المنبّه له من أخطاره و أن عليه أن ينتهز فرصة قتل الوزير سماجة لرجال دولته فيوقع به لأن الفرص - على حد تعبير الأمير نفسه - تمر مرَّ السحاب فلابد من اغتنامها ،(١١٩) إلا أنه - أي الأمير عبدالله- اكتفى بأن عزله عن منصبه و أجلاه عن غرناطة إلى المرية (١٢٠) بأهله و أمواله و جميع

---

(١١٨) ابن الخطيب ، *أعمال الأعلام*، ٢٣٤ ؛ ابن بلقين، *التبيان*، ٨٥ .

(١١٩) ابن بلقين، *التبيان*، ٨٥ ، ٨٦ .

(١٢٠) مدينة المرية : من مدن الأندلس المشهورة ، تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، قام ببنائها عبدالرحمن الناصر ، عظم شأنها في عهد المنصور بن أبي عامر ، تشتهر ببساتينها ؛ المقري ، *نفح الطيب* ، ١٥٨ ؛ العبادي ، *مشاهدات* ، ٤٣ .

ممتلكاته بأسلوب يتصف بالرفق و اللين دون أن يلحق به أي ضرر .

و كذلك موقفه مع عامله على وادي آش [(١٢١)] (ابن أبي جوش) ، [(١٢٢)] حيث شكى أهلها ، فأمر الأمير عبدالله بثقافه ، و قام بعزله عن ولايته - وادي آش - ثم عفا عنه وأبقى له جميع أمواله ما عدا الذهب و الفضة ، و أمره الأمير عبدالله بأن يلزم مجلسه ، و أنه مكرم طوال حياته ، مما أثار الغيرة و الخوف في نفوس رجال دولة الأمير عبدالله إذ خشوا أن يعود إلى منصبه في الدولة فأوغروا صدر الأمير عبدالله عليه ، و ذكروا له جرائمه أثناء ولايته على وادي آش ، و طالبوا الأمير بإخراجه من غرناطة ، فامتثل الأمير عبدالله لأمرهم ، واكتفى بإخراجه من غرناطة دون أن يقيم عليه الحد على ما ارتكب من جرم في حق النساء و الأطفال و الشيوخ أيام ولايته [(١٢٣)] مبررا ذلك بقوله : « و لا استطعنا حينئذ على معاقبته لما ارتكب في صدر الدولة من قبل أولئك النساء و من جرى مجراهن لشركته في ذلك مع سواه من شيوخ (تلكاته) - فيسوء ظن الجميع و تفسد من سببه الأحوال ، فلا يقوم فساد المملكة و سوء عاقبة الأمر بما يلزم من إقامة الحد ، فرأينا من الصواب أن يرتحل عنا دون تغير و لا إبلاغ عن عقوبة . »[(١٢٤)]

---

(١٢١) وادي آش : من أعمال مدينة غرناطة ، و يسمى وادي الآشات و هي مدينة جميلة تحيط بها البساتين و الأنهار ، وقد خص الله سبحانه و تعالى أهلها بالأدب و حب الشعر ؛ المقري ، *نفح الطيب* ، ١ : ١٤٥ ، ١٤٦ ؛ العبادي ، *مشاهدات* ، ٩٩ ؛ ابن الخطيب ، ٩٩ ؛ *دائرة المعارف الإسلامية* ، ٢ : ٢٣٤ ؛ ألحموي ، *معجم البلدان* ، ١ : ١٩٨ ؛ أحمد شلبي ، *موسوعة التاريخ الإسلامي* ، ١ : ٩٥ .

(١٢٢) ابن أبي جيوش : أحد وزراء الأمير عبدالله بن بلقين ، أسند إليه الأمير عبدالله الولاية على وادي آش ، و من ثمّ تمّ عزله على يد الأمير عبدالله عن ولايته ، و أمر بثقافه ، و ذلك لتذمر الناس من سوء معاملته لهم ؛ ابن بلقين ، *التبيان* ، ٨٦ ؛ *مجلة الأندلس* ، ٣ ، ق٢ (١٩٣٥م) ، ٣٢٨ .

(١٢٣) ابن بلقين ، *التبيان* ، ٨٨ .

(١٢٤) ابن بلقين ، *التبيان* ، ٨٧ ، ٨٨

الأمير عبدالله بن بلقين ومسايرة الأمور لمصلحته الشخصية

و مما يبدو لي أن الأمير عبد الله بن بلقين كان يعمل على مداراة الأمور ومسايرتها لمصلحته الشخصية . و إن كان في ذلك فساد لأمور الدين و الدولة ما دام أنه يخدم مصلحته الخاصة ، حيث يتضح ذلك من حادثة نزاعه مع أخيه تميم بن بلقين حاكم مدينة مالقة ، فعندما استشرى النزاع بينهما أشار عليه وزيره القليعي (١٢٥) أن يكتب للقاضي عيسى بن سهل كتابا يعده فيه بالقضاء إذا حكم في صالحه ضد أخيه تميم حاكم مدينة مالقة ، فلم يتردد الأمير عبدالله في ذلك حيث قام بتحرير ذلك الكتاب و وعد فيه ابن سهل (١٢٦) بالقضاء إذا حكم في صالحه ، و بالفعل نفذ ما وعد به ، و كذلك دفعه الرشوة لقرور ، أحد المقربين للأمير يوسف بن تاشفين ، و مقدارها ألف دينار قرطبية ، و علل الأمير عبدالله تصرفه هذا بقوله : « و كثير من الحق يجب تركه . » و هذا ربما يعتبر من سلبيات شخصية الأمير عبدالله إذ أن إخفاء الحق مناف للقيم و الأخلاق . كما أشار الى تلك الظاهرة بالنقد و الاتهام المؤرخ ابن حزم (١٢٧) الّذي عاش أحداث ذلك

---

(١٢٥) القليعي : أحد وزراء الأمير عبدالله بن بلقين و من المقربين له ، تظاهر بالولاء و الإخلاص للأمير عبدالله ، فأولاه الأمير ثقته ، و لكن القليعي كان حاقدا على الأمير عبدالله ، حيث منعه من الإقامة في المدينة ، و ألزمه الإقامة في ضيعته لما كان يرى من شره - على حسب قول الأمير عبدالله - فعمل القليعي على حياكة المؤامرات ضد الأمير عبدالله و انتهى أمره بأن أمر الأمير عبدالله بثقافه ببيت قرب قصره ، ثم أمر بإطلاق سراحه بعد أن التزم له القليعي بالانضباط و عدم التدخل في الأمور التي لا تعنيه . و لكن ما لبث أن اتصل بأمير المرابطين يوسف بن تاشفين و حسن إليه أمر غزو الأندلس ، ابن بلقين ، *التبيان* ، ١١٨ ، ١١٩ .

(١٢٦) ابن بلقين ، *التبيان* ، ١١٥ ، ١١٦ .

(١٢٧) ابن حزم : هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الملقب بالقرطبي و الظاهري ، مؤرخ وأديب و فقيه أندلسي . ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبدالملك ، *الصلة* (القاهرة : الدار المصرية للتأليف و الترجمة ، ١٩٦٦م) ، ١ : ٢٨٢ ، ترجمة رقم ٨٩٤ ؛ بول غليونجي ، موسوعة *العلوم الإسلامية و العلماء المسلمين* (القاهرة : دار ومطابع المستقبل ، د.ت.) ، ١ : ٧٩ ؛ عبدالحليم عويس ، *ابن حزم الأندلسي و جهوده في البحث التاريخي و الحضاري* (القاهرة : دار الاعتصام ، د. ت.) ؛ *الموسوعة العربية الميسرة* ، ١٩٧٢ م ، ١٣ .

العصر و شهد فضائحه مؤكدا أنهم لو وجدوا أية وسيلة لتحقيق أهوائهم وإشباع رغباتهم لما ترددوا في الإقدام عليها و ذلك بقوله : « و لو علموا أن في عبادة الصلبان تمشية أمورهم لبادروا إليها ، فنحن نراهم يستمدون النصارى ، فيمكنونهم من حُزم المسلمين و أبنائهم و رجالهم يحملونهم أسرى إلى بلادهم» إلى قوله : « و ربما أعطوهم المدن و القلاع طوعا ، فأخلوها من الإسلام و عمروها بالنواقيس ، لعنهم الله و سلط عليهم سيفا من سيوفه . »(١٢٨)

و كذلك محاولته إخفاء أهدافه الشخصية بمبررات واهية ، حيث برر قيامه ببناء المعاقل و الحصون حول غرناطة عندما حاول ابن صمادح حاكم المرية مهاجمتها بغرض حمايتها و أهلها من أي عدوان تتعرض له . و لكن الغالب أن غرضه من ذلك هو حماية ملكه و بقاء سلطته . و قد أشار ابن حزم إلى ذلك بشيء من النقد و الاتهام حيث أجاب من استفتاه في أمر ملوك الطوائف بقوله : «إن كل مدبر مدينة أو حصن في شيء من أندلسنا هذه أولها و آخرها محارب لله تعالى و رسوله و ساع في الأرض بفساد إلى قوله غرضهم فيها استدامة نفاذ أمرهم و نهيهم . »(١٢٩)

صفة الفزع والخوف سمة من سمات شخصية الأمير عبدالله بن بلقين

و في الغالب أن صفة الخوف و الذعر كانت متمكنة في نفسية الأمير عبدالله ، حيث يتبين ذلك من تصرفه تجاه كثير من الحوادث التي مرَّ بها ، كما و أنه اعترف بتلك الصفة صراحة بقوله : « و لا سيما و أن الجزع و السوداء متمكنة في نفسي و أجدها في طباعي . »(١٣٠) فمن تلك الحوادث دخول أمير المسلمين يوسف بن تاشفين لبلاد الأندلس

(١٢٨) انظر رسائل ابن حزم بعنوان *الرد على ابن التغريله اليهودي و رسائل أخرى* ، تحقيق إحسان عباس (القاهرة : دار العروبة، ١٩٦٠م)، ١٣٩-١٨٥ ؛ « أقوال ابن حزم ، » نشر بلاثيوس ، *مجلة الأندلس* ، ٤ : ١ (١٩٤٣م)، ٣٧ .

(١٢٩) ابن حزم ، *رسالة نقط العروس* لابن حزم المنشورة في *مجلة كلية الآداب* ، جامعة القاهرة (١٩٥١)؛ «أقوال ابن حزم،» *مجلة الأندلس*، (١٩٤٣م) ، ٣٧ .

(١٣٠) ابن بلقين، *التبيان*، ١١٤ .

بغرض تخليصها من ملوك الطوائف لأنه رأى « أي يوسف بن تاشفين » أن استمرار بقائهم بها سيؤدي حتما إلى سقوطها في أيدي النصارى، [١٣١] فوصلت جيوش المرابطين إلى قرب مدينة غرناطة بغرض حماية حصونها من أي قوة قد يستعين بها الأمير عبدالله لحمايته إلى أن يصل الأمير يوسف بن تاشفين بنفسه ، فطلب قادة جيوش المرابطين من الأمير عبدالله أن يوفر لهم القوت و لماشيتهم العلف فما كان من الأمير عبدالله إلا أن سارع لتنفيذ ما أمر به و ذلك - كما يذكر الأمير عبدالله بقوله - : « لئلا يقع منا شيء من الخلاف يتسبب فيما هو أكثر . » كما قام بإرسال عدد من الفقهاء إلى الأمير يوسف بن تاشفين عندما قرب من غرناطة محملين بالأموال و الهدايا ، و يخبرونه بتكليف من الأمير عبدالله وعلى لسانه بأنه غير مخالف لأوامره و لا خارج عن طاعته و أنه بمنزلة الابن لأبيه فطاعته واجبة . [١٣٢]

فأرسل إليه الأمير يوسف بن تاشفين الفقيه ابن سعدون يخبره بأن لا طـــاعة و لا صلح معه إلا بالخروج إليه و سلم له خطابا بخط الأمير يوسف بن تاشفين يتضمن إعطاءه الأمان على نفسه و أهله دون ماله إن هو خرج إليه ، و إن كان شاكا في صدق نيته فليتخير موضعا من ضواحي مدينة غرناطة يلجأ إليه حتى ينظر يوسف بن تاشفين في أمره . فعندما رأى الأمير عبدالله أنه ساقط في قبضة ابن تاشفين لا محالة ، و أنه لا ملجأ و لا مفر من ذلك آثر الخروج إليه حيث عبر عن ذلك الموقف بقوله : «و علمت أني بحال لا اختيار لي فيه و أنه لا مهرب بين يديه ، فقلت من السخف يكون أن أقول قد اخترت موقع كذا ، فإن كان لي كارها لم ألبث أن أرد منه بتعليل و حجة القوي على الضعيف ، إن كان في نفسي منه العوض فخروجي إليه ما يعتقده من إحسان و لا حيلة إلا بالخروج و الترامي عليه . »

---

(١٣١) ابن الخطيب، *الإحاطة* ، ٣ : ٣٨ ؛ ابن الخطيب، *أعمال الأعلام*، ٢٣ ؛ المقري، *نفح الطيب*، ١ : ٤٢١ ؛ *مجلة الأندلس* ، ٤ ، ق١ (١٩٣٦م)، ١٢٦ ؛ سلامة محمد الهرفي، *دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين ، دراسة سياسية و حضارية* (مكة المكرمة : دار الندوة الجديدة، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م)، ٤٤ ، ٤٥ ؛ حسن أحمد محمود، *قيام دولة المرابطين* (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧م).

(١٣٢) ابن عذاري، *البيان المغرب*، ٣ : ٢٠٩ ؛ ابن بلقين، *التبيان* ، ١٤٩ .

استسلام الأمير عبدالله لزعيم المرابطين

و من ذلك يتضح لنا أن استسلام الأمير عبدالله لزعيم المرابطين يوسف بن تاشفين لم يكن كما يذكر الأمير عبدالله - بغرض إسخاط الروم و إرضاء المسلمين أو أن يرثها المسلمون أولى و أجل للعاقبة من أن يرثها النصارى - و إنما هي عبارات تلفظ بها حين غُلب على أمره فلم يجد غير الاستسلام طريقا للبقاء على حياته ، وأنها لم تصدر عن نفس مقتنعة تماما بما تقوله و إنما هي نتيجة طبيعية لتلك الظروف السيئة التي أحاطت به ، حيث وجد نفسه عاجزا أمام قوة المرابطين و صلابتهم ، بدليل أنه أول من شهر الخلاف على يوسف بن تاشفين عندما علم بعزم يوسف بن تاشفين مهاجمة غرناطة ، فعمل على بناء الحصون و المعاقل و تزويدها بكافة مستلزماتها الدفاعية و الحربية ليحول دون دخولهم دولته .

و كذلك جنوحه إلى محالفة النصارى و مداهنته لألفونس السادس و دفع الجزية له بغرض حمايته و بقاء سلطته و في ذلك يقول الشاعر السميسري :

صاحب غرناطة سفيه — و أعلم الناس بالأمور
صانع آدفونش و النصارى — فانظر إلى رأيه الدبير
و شاد بنيانه خلافا — لطاعة الله و الأمير
يبني على نفسه سفاها — كأنه دودة الحرير
دعوة يبني فسوف يدري — إذا أتت قدرة القدير (١٣٣)

و كذلك حسن المعاملة التي كان يتمتع بها المعاهدون في دولته و توفير الحماية والعناية لهم إلى جانب استعانته بعدد غير قليل من النصارى القشتاليين للاستعانة بهم في تدبير شؤون الإدارة و الشؤون الحربية . (١٣٤)

---

(١٣٣) ابن عذاري، *البيان المغرب*، ٢ : ١٠٠ ؛ ابن بلقين، *التبيان* ، ١١٩ . و السميسر هو : أبو القاسم خلف بن فرج الأبيري ، كان من أبرز شعراء عصره ، ابن بسام ، *الذخيرة*، ١ : ٢ : ٨٢ .

(١٣٤) عنان ، *دول الطوائف* ، ٤١١ .

وهذا ما أشار إليه ابن حزم بعبارة تتصف بالحدة و الانتقاد على تخاذل ملوك الطوائف - بما فيه الأمير عبدالله حاكم مملكة غرناطة - أمام أعدائهم النصارى و تهاونهم بأمور دينهم و دولتهم بقوله : «و الله لو علموا أن في عبادة الصلبان تمشيئة أمورهم لبادروا إليها ، فنحن نراهم يستمدون النصارى ، فيمكنونهم من حرم المسلمين وأبنائهم ورجالهم .»(١٣٥) و إنما كان استسلامه نتيجة للموقف السلبي الذي وقفه منه رعيته من أهالي غرناطة سواء من داخلها أو خارجها ، كما صور ذلك الأمير نفسه حيث ذكر أهالي الليسانة (١٣٦) و جنود الحصون الغربية خضعوا لطاعة المرابطين تحت تهديدات يوسف بن تاشفين لهم و ذلك عند ما بعث لهم بكتاب جاء فيه : ﴿ **وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** ﴾ (١٣٧) و إذا لم تطيعونا ﴿ **فَأْذَنُوا بحَرْب مّنَ اللَّه وَرَسُوله** ﴾ (١٣٨) فتسارعوا بإعلان طاعتهم و بيعتهم له ، و كذلك موقف العناصر السكانية من أهالي غرناطة و من ضمنهم جنود البربر الذين اغتبطوا بوصول المرابطين و ذلك طمعًا فيما سيحصلون عليه من أموال و هبات منهم ، أو كانوا من التجار و أهالي البلد حيث كانوا على نية من سبق و لا طاقة لهم بالحرب و لا هم أهله ، أو العبيد و الصقالبة(١٣٩) والذين

---

(١٣٥) راجع أقوال ابن حزم ، نشر بلاتيوس في *مجلة الأندلس* (١٩٤٣م)، ٣٧ ؛ ابن حزم ، *نقط العروس* المنشورة في *مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة* (١٩٥١ م) .

(١٣٦) ابن بلقين، *التبيان*، ١٥٥ . الليسانة : تقع في الإقليم المتوسط من الأندلس، و هي أعمال مدينة قرطبة ، المقري، *نفح الطيب* ، ٨ : ١٥٨ ؛ ابن الخطيب، *أعمال الأعلام* ، ٢٣٥ .

(١٣٧) سورة الإسراء، آية ٨١ .

(١٣٨) سورة البقرة، آية ٢٧٩ .

(١٣٩) الصقالبة : يعرفون أيضا باسم السلاف ، و هم الشعوب المنحدرة من أصول شتى ، و التي كانت تنزل الأراضي المجاورة بين القسطنطينية وأراضي البلغار . و كان معظم الصقالبة قد جلبهم القراصنة المغاربة و والأندلوسيون في حملاتهم على السواحل الأوروبيةللبحر المتوسط ، أو الأسرى التي كانت تأتي بهم الجيوش الألمانية في حملاتهم ثم يبيعونهم إلى المسلمين في الأندلس ، وقد تولى هؤلاء الصقالبة المناصب الإدارية الرفيعة و مناصب القيادة في عهد عبدالرحمن الثالث ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، ١ : ٢٧٦ و ما بعدها ، المقري ، *نفح الطيب*، ١ : ٨٨ ، ٩٢ ؛ ٢ : ٥٧ ؛ *دائرة المعارف الإسلامية*، ٤١ : ٢٥١ وما بعدها .

كانوا أول من خرج عن طاعته . و لقد عبر الأمير عبدالله عن عجزه أمام ذلك الموقف بتذمر شديد بقوله : « فلم ندر ما نصنع إذ اتسع الخرق على الراقع و قلت لا طاقة لي بجميع أهالي البلاد إذا غدروا و خرجوا عن الطاعة . »[١٤٠] و لقد برزت صفة الفزع والخوف على الأمير عبدالله كسمة من سمات شخصيته عندما دخل الأمير يوسف بن تاشفين إلى مدينة غرناطة ، فقام بإبعاد الأمير عبدالله إلى إحدى ضواحيها قبل أن يتم نفيه إلى مدينة أغمات و مساءلته إياه عن الثروة التي تركها في منزله بغرناطة فأجابه الأمير عبدالله بقوله : « فقلت له : نعم و قد تركته في داري فإن أباح لي المسير بنفسي لاستخراج الكل و إلا فهذه أُمي تتولى ذلك مع ثقاته حتى لا يغادركم منه خيط . »[١٤١] فعندما تم للأمير يوسف بن تاشفين الاستيلاء على جميع أمواله التي بقصره في غرناطة أرسل إليه مندوبه يطالبه بأن يرد الأموال التي قد أودعها عند أحد من الناس يخبؤها ، و هدده بأن لم يفعل فسيكون نهاية للعهد الذي بينهما و هو الحفاظ على حياته . فأثار ذلك التهديد من قبل يوسف بن تاشفين الفزع في نفس الأمير عبدالله فطلب من والدته متضرعا أن تحاول أن تذكر ما إذا كانت قد خبأت شيئا من الأموال عند أحد من الناس لأن حياته مرتهنة بذلك . و لقد برر الأمير عبدالله موقفه من حادثة استسلامه ليوسف بن تاشفين بأنه عين العقل إذ أنه لو التزم جانب العناد والاستكبار لحلَّ به ما حلَّ بصاحب بطليوس . و يعني المتوكل بن الأفطس ، حيث قال : « و ما حلَّ بابن الأفطس فشكرنا الله على ما نجانا منه . » كما علق على حادثة الاستسلام هذه بقوله : «و غلّبنا النفس الناطقة على الحيوانية فإنها تحمل على الفضائل و الإنصاف ومعرفة حقائق الأشياء كما أن الحيوانية تحمل على الغلبة وإيثار الشهوات و الحيدة في سبيل المعرفة . »

سياسة التخاذل والتهاون التي اتبعها الأمير عبدالله بن بلقين مع الخارجين عليه

و اعتبر أن النجاة بالنفس لا يعدله شيء حتى و إن كانت حياة ذل و مهانة حيث قال : « و كم عسى العيش في هذه الدنيا و النجاة بالنفس من الدنيا و تخليصها من الأوزار

(١٤٠) ابن بلقين، *التبيان* ، ١٥٠ ، ١٥٥ .

(١٤١) ابن بلقين، *البيان*، ١٥٥ ؛ ابن الخطيب، *أعمال الأعلام* ، ٢ : ٢٣٥ .

في الآخرة لا يبلغ ذلك شيء و لا يعدله . »[١٤٢]

و من تلك المواقف مداراته و محاباته لصاحب مدينة المرية عبدالله بن صمادح والذي كان يهدد بالاستيلاء على مدينة غرناطة ، فعمل الأمير عبدالله جاهدا على تحسين علاقته معه ليحول بينه و بين أطماعه .[١٤٣] و كذلك موقفه مع قائد جنده القليعي والذي استغل سيطرته و مكانته في الدولة فقام باضطهاد الجند و استولى على كثير من ضياعهم فشكوا أمره للأمير عبدالله ، فاكتفى بعزله عن منصبه إرضاء للجند و رغبة منه في استتباب الأمن في الدولة ، كما ذكر ذلك الأمير نفسه فأعطى ذلك التهاون القليعي فرصة للتمادي في تصرفه حيث عمل على الانتقام من الأمير عبدالله على إثر عزله إياه ، حيث اتصل بيوسف بن تاشفين و أبدى له شكواه من سياسة الأمير عبدالله ، و شجعه على غزو غرناطة .[١٤٤]

فأثار ذلك فزع الأمير عبدالله وخوفه و خاصة بعدما سمع من توعد القليعي وتهديده إياه على لسان بعض رجال دولته بقوله : « و الله لأبلغن من حفيد باديس – ويقصد بذلك الأمير عبدالله – ما كان يبلغ جده مني و من غيري . » و يقصد بجده «باديس بن حبوس ، » و الذي منعه من سكن غرناطة و بعدم مغادرته ضيعته ، و ذلك لما كان يعرفه عنه من شر و فتنة ،[١٤٥] فأثار ذلك التهديد الفزع و الخوف في نفس الأمير عبدالله و قد أشار إلى ذلك بقوله : «و سمعت و عيد القليعي لي و جفاءه علي و إزالة رقابتي عنه ، فزادني ذلك جزعا و لا سيما و أن الجزع و السوداء متمكنة في نفسي وأجدها في طباعي . » و قد أشار إلى هذه الصفة ابن الخطيب نقلاً عن الصيرفي قوله : «كان جبانا متغمدا بالسيف ، متكاسلاً عن الخيل ، زاهدا في النساء ، موصوفا بالضعف . »[١٤٦]

---

(١٤٢) ابن بلقين ، *التبيان* ، ٥٢ .

(١٤٣) ابن بلقين ، *التبيان* ، ٧١ .

(١٤٤) ابن بلقين ، *التبيان* ، ١١٨ ، ١١٩ .

(١٤٥) ابن بلقين ، *التبيان* ، ١١٨ ، ١١٩ .

(١٤٦) ابن الخطيب ، *الإحاطة* ، ٣ : ٣٧٦ ؛ ابن الخطيب ، *أعمال الأعلام* ، ٢ : ٢٣٥ .

و كذلك موقفه مع قائدجنده كباب بن تميت ، الذي استقل بحصن باجذونة[(١٤٧)] وحصن أنتقيره[(١٤٨)] و خرج عن طاعة الأمير عبدالله و قام بتأليب أعدائه عليه و عمل على زعزعة الأمن في الدولة - كما سبق ذكره - و ذلك بقطعه الطرق على الناس بغرض الاستيلاء على أموالهم . فلم يسلك معه الأمير عبدالله أسلوب الحزم منذ بداية فتنته هذه ، بل حاول في أول الأمر استمالته إليه و أعطاه الأمان إن هو كف عن أعماله هذه و رجع إلى طاعته . فكان ذلك الأسلوب المتهاون من قبل الأمير عبدالله سببا في تمادي وزيره كباب ابن كميت في عصيانه ، حيث قام بتهديد الأمير عبدالله بحرب طاحنة ضده .

و كذلك موقفه مع قائد جنده على الحصون الغربية و الذي يدعي نعمان ، وكان نعمان هذا من الأشخاص الذين أسدى إليهم الأمير عبدالله الإحسان و عمل معه جميلاً لصلة القرابة بينهما . كما ذكر الأمير عبدالله ، إلا أن قائده نعمان قابل ذلك الإحسان بالإساءة فدبر خدعة تمكن من خلالها المغادرة إلى عدوة المغرب بحجة أن له فيها ميراثا ومالاً و قام بالاتصال بيوسف بن تاشفين زعيم المرابطين في بلاد المغرب وعمل على تحريضه على الأمير عبدالله ، حيث ادعى أن سبب اخراجه إلى عدوة المغرب هو غضب الأمير عبدالله عليه بسبب أنه أظهر أمامه محبته ليوسف بن تاشفين و قام بإسداء النصح للأمير عبدالله باتباعه و عدم مخالفته . فعلق الأمير عبدالله على هذه الحادثة معترفا بخطئه و إنما هو من جراء تفريطه بالأمور و حسن ظنه بأناس لايستحقون حسن ظنه هذا ، و بين أن السياسة صناعة لا بد من تعلمها كما تتعلم سائر الصنائع و أن من أهم مقوماتها الحذر ، فالإنسان لابد أن يكون حذرا متيقظا محتسبا لكل أمر ، و استشهد على ذلك بقول الخليفة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه : «لست بخب[(١٤٩)] ولا الخب يخدعني» وبالقول الشائع : «فلان لا يعرف الشر قال ذلك أجدر أن يقع فيه .»

و قد برر الأمير عبدالله السياسة التي اتبعها مع الخارجين عليه من بعض رجال

---

(١٤٧) حصن برجذونة، انظر حاشية ٧٩ .

(١٤٨) حصن أنتقيرة ، انظر حاشية ٨٠ .

(١٤٩) الخب : الخداع و الغش ، و رجل خبىء ، غشاش منكر خادع ؛ ابن منظور، *لسان العرب*، ١ : ٧٨٠ .

دولته و وزرائه و قواد جنده و التي يغلب عليها طابع التخاذل و التهاون بقوله : « غير أني أوسع لهم صدري و يسع جهلهم حلمي ، و أقضي بعد ذلك ما أريده ، و لم أكن على ذلك مجبورا ولا مقهورا إلا ما قهرتني عليه السياسة و ما تحمد له العاقبة كمن يتجرع الدواء لبراء الداء ، و لم أكن أغتبن لأحد في الحق من جهالة و لا غفلة إلا أن تكون مسامحة و تغافلاً لأمر يراد . » و لعل هذا يؤكد ما سبق و ذكرناها بأنه كان يساير الأمور مبديا تخاذله في كثير منها مما يتطلب الحزم و الشدة في سبيل بقاء ملكه و سلطته .

تخاذل الأمير عبدالله بن بلقين أمام ألفونس السادس

و فيما يبدو ، و من الأحداث التي مرت على الأمير عبدالله أثناء حكمه لغرناطة ، أنه كان متذبذبا في الرأي فبينما نجده ينكر على المعتمد بن عباد تحالفه مع ألفونس السادس ضد مسلم - و يعني نفسه - و ذلك عندما رفض الأمير عبدالله أن يدفع الجزية التي طلبها منه ألفونس السادس مقابل عدم اعتدائه على غرناطة ، فانتهز المعتمد بن عباد هذه الفرصة و قام بالتواطؤ مع ألفونس السادس ، حيث زين له الاستيلاء على غرناطة مستغلاً في ذلك صغر سن حاكمها و حالة الضعف التي تمر بها ، فعقد مع ألفونس السادس حلفا تكفل به المعتمد بن عباد لألفونس السادس ، أن يدفع ضعف الجزية التي طلبها من الأمير عبدالله سنويا ، و أن يكون كل مافي غرناطة من الأموال ملكا لألفونس السادس ملك قشتالة مقابل مساعدته للمعتمد بن عباد في الاستيلاء على غرناطة ، فأنكر الأمير عبدالله ذلك التصرف من المعتمد بن عباد بقوله : « و لم نقس أن أحدًا يعاقده على مسلم . »[١٥٠] إلا أن الأمير عبدالله يعود فيلوم نفسه على التفريط بالموافقة على طلب ألفونس السادس و هو دفع الجزية التي طلبها منه حيث ذكر ذلك بقوله : (و ندمنا على التفريط أولاً بمعاقدته حسب ما طلب منا . »[١٥١] ثم يعود فيدفع له الجزية صاغرا عند هجوم ألفونس السادس على غرناطة . و قد أشار ابن حيان إلى ذلك التنازع و التشاحن بين أمراء الطوائف ، والذي كان له أسوأ الأثر في شق الصف الإسلامي و اختلاف كلمته في كثير من الحوادث التي

---

(١٥٠) ابن بلقين ، *التبيان* ، ٦٩ .

(١٥١) ابن بلقين ، *التبيان* ، ٧٠ .

مرّت بالدولة الإسلامية في الأندلس بقوله : « و لأشد ما أفتينا عـــند أولي الألباب ما أخفيناه مما دهانامن داء التقاطع ، و قد أخذنا بالتواصل و الألفة و أصبحنا من استشعار ذلك و التمادي عليه على شفا جرف يؤدي إلى الهلكة لا محالة إذ قدر الله زمانها إلى أن يقول : « فمثل دهرنا هذا فرس بهيم الشية[١٥٢] ما أن يباهي بقرحه فضلاً عـن شدوخ عزه ، قد غربل أهله أشد غربلة ، فسفسف أخلاقهم و اجتث أعراقهم و سفه أحلامـهم ، وخبث ضمائرهم ، فاحتوى عليهم الجهل ، و اقتطعهم الزيف و أركستهم الذنـــوب ، ووصمتهم العيوب فليسوا في سبيل الرشد بأتقياء ، و لا علــى معانــي الغي بأقوياء . »[١٥٣]

و بالرغم من أن الأمير عبدالله كان يدرك تماما ما تنطوي عليه نوايا ألفونس السادس وما يهدف إليه من أهداف دفعته لقبول هذا الحلف من المعتمد بن عباد ، حيث بين الأمير عبدالله تلك الأهداف و النوايا الخبيثة التي تنطوي عليها نفس ألفونس السادس ، و هي ضرب المسلمين بعضهم مع بعض حتى يتمكن بتلك السياسة من إضعاف قوتهم للاستيلاء على أراضيهم دون مشقة ، و هو ما يؤكده الأمير عبدالله ، و ذلك ما سمعه من مستشار ألفونس السادس و يدعى الكونت سنندو كشرح لسياسة مليكه (ألفونس السادس) للاستيلاء على الأندلس بقوله : « و إنما كانت الأندلس للروم في أول الأمر حتى غلب عليها العرب و ألحقوهم بأخس البقاع (جليقية) فهم الآن عند التمكن طامعين بأخذ ظلاماتهم ، فلا يصح ذلك إلا بضعف الحال و المطاولة حتى إذا لم يبق مال و لا رجال أخذناها بلا تكلف[١٥٤] إلا و مع اعترافه بأن في دفعها إجحافًا في حـــقه و حق المسلمين من أهل غرناطة قام بعقد الحلف مع ألفونس السادس ، و الذي التزم فيه الأمير عبدالله بدفع الجزية لألفونس السادس سنويا ، بدلا من التكاتف و التعاون مع ملوك الطوائف الآخرين للوقوف ضد هذه الأطماع المهلكة ، و قد برر الأمير عبدالله تصرفه هذا بقوله : « لكي تسلم البلد و تشكر الرعية بمدافعة عدوها ، دون تكليفها شيئا فلا تقع مشقة ، »

---

(١٥٢) الشيه : الشَّوى : ذال الإبل و الغنم و صغارها شَوى ؛ ابـــن منظور ، *لسان العرب* ، ١٤ : ٤٤٨ .

(١٥٣) ابن بسام ، *الذخيرة* ، ٣ : ١ : ٨٨ ، «نقلا عن ابن حيان» .

(١٥٤) ابن بلقين ، *التبيان* ، ٧٣ .

حيث ذكر أنه قام بدفع الجزية من جيبه الخاص دون إجبار أو إكراه لأحد المسلمين ، و لكن و من المرجح أن هذا التبرير من قبل الأمير عبدالله على هذه الحادثة بقوله : « لكي تسلم البلد » غير مقنع و لا تنفي عنه ما اتهم به من تواطىء لألفونس السادس، بدليل أن الأمير عبدالله كان لا يتوانى في طرق أي باب يعتقد أن فيه مصلحة له و بقاء لملكه بدليل تصرفه في عدة مواقف أثبتت هذا الرأي و التي سبق وأشرنا إليها كإقدامه على دفع الرشوة لأحد المقربين عند الأمير يوسف بن تاشفين و يدعى قرور ، بغرض مساعدته و الانضمام إليه في النزاع القائم بينه و بين أخيه تميم حاكم مدينة مالقة. و كذلك وعده للقاضي ابن سهل بتوليته القضاء إذا حكم في صالحه ضد أخيه كم ورد ذكره ، و منها أيضًا مهادنته لوكيل ألفونس السادس و يدعى البرهانس عندما هاجم غرناطة، حيث عقد معه معاهدة التزم فيها الأمير عبدالله بدفع عشرة آلاف مثقال من الذهب و تسليمه الحصون الدفاعية المهمة في جنوب غرناطة مقابل حماية ألفونس له من المرابطين . و قد أشار إلى ذلك ابن عبدالبر [١٥٥] بالإدانة و النقد لأمراء الطوائف بقوله : ((و كثير فيها الأمراء - الأندلس - فضعفوا و صاروا خولاً للنصارى يؤدون إليهم أضعاف ما كان المسلمون يأخذونه منهم . »[١٥٦]

و قد أقر الأمير عبدالله بأن قبوله دفع الجزية لألفونس السادس عمل فيه إجحاف في حقه و حق المسلمين من أهل غرناطة، و لكن الذي دفعه إلى ذلك لما فيه صالح المسلمين و دفع الضرر عنهم، إذ يؤدي رفضه لتلك الجزية إلى هلاك المسلمين على يد ألفونس

---

(١٥٥) ابن عبد البر : هو أبو عمر يوسف بن عبدالله (أبو عمر) ابن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي، محدث و مؤرخ أندلسي ، كاتب علماء المشرق ، و طاف في أنحاء الأندلس؛ انظر : الحميدي، أبو عبدالله محمد بن نصر بن عبدالله الأزدي ، *جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس* (القاهرة: الدار المصرية للتأليف و النشر ، ١٩٦٦م)، ٩ : ٢٦٧ ؛ عطية الله، *القاموس الإسلامي*، ٩٥ ؛ الفتح بن خاقان، *قلائد العقيان في محاسن الأعيان* (تونس ، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م) ، مصورة عن طبعة باريس .

(١٥٦) ابـــن عبدالبر، *القصر و الأمم في التعريف بأنساب العرب و العجم* (القاهرة : د . ن . ، ١٩٥٠م)، ١٦٥ .

السادس إذ لا يستطيع مواجهته عسكريا . كما برر ذلك أنه لم يجد عونا أو مساعدة من إخوانه حكام الأندلس الآخرين تمكنه من الو قوف ضد أطماع ألفونس السادس و مكابرته ، بل إن المساعدة و المساندة التي وجدها منهم هي تحريض ألفونس على الاستيلاء على غرناطة و ذلك بقوله : « و لا وجدنا من سلاطين الأندلس عونا إلا من يسوقه بهلاكنا . » و نجد أن ما ذكره الأمير عبدالله كمبرر لهذه الحادثة أيضًا لا ينفي عنه صفة المغالطة و التواطىء مع العدو النصراني ألفونس السادس بدليل موقفه من حصار حصن لييط ، إذ كان طرفا في النزاع و المشاحنة التي وقعت بين أمراء الطوائف المحاصرين لذلك الحصن بالمشاركة مع قوات المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين مما دفع يوسف بن تاشفين إلى ترك حصار الحصن و العودة الى المغرب . و قد وصفهم ابن حـــيان بقوله : «أمراء الفرقة و الهمل . »[١٥٧] و بقوله : « القاسطون قد نكبوا عن نهج الطريقة زيادا عـــن الجماعة وحوشا إلى الفرقة . »[١٥٨] و كذلك ما نقله ابـــن بسام عن ذي الوزارتين أبي بكر محمد بن سليمان ، و المعروف بابن القصيرة ، من نقد و اتهام لهؤلاء الملوك بقوله : « و العدو في كل مكان مثلج الفؤاد رابط الجأش ، لا يرقب سنان دافــع ، و لا يبدو له وضع سيف و دافع . » وكذلك نقله عنه انتقاده لهؤلاء الملوك للفتن و المنازعات التي كانت قائمة بينهم و التي كان الدافع لها الأطماع الشخصية لكل منهم قوله : « كانوا يداخلون ملوك الروم ، يكتري كل واحد منهم عسكرا بجملة من المال يخرجه إلى بلد كاشحه ، و يسلطه على معانده ممن يجاوره من البلاد ، حسدا له و طمعا في بلده أن يصير في طوع يده ، فكانت نيران الفتنة بينهم مشتعلة و الرعية مهملة . »[١٥٩]

و يستمر الأمير عبدالله في تبرير موقفه تجاه تخاذله أمام ألفونس السادس أنه لم يكن يقصد من وراء قبوله لهذه المعاهدة خيانة أمته أو إعانة النصارى على المسلمين ، حيث أورد في نظره ما يثبت حقيقة ذلك الأمـر ، و ذلك برده عـلى رسول ألفونس السادس والذي جاء لعقد المعاهدة معه و التي وافق عليها الأمير عبدالله على دفع الجزية السنوية

---

(١٥٧) ابن بسام ، *الذخيرة* ، ٣ : ١ : ١٨٠ «نقلاً عن ابن حيان» .

(١٥٨) ابن بسام ، *الذخيرة* ، ١٨١ «نقلاً عن ابن حيان» .

(١٥٩) ابن بسام ، *الذخيرة* ، ٢٥٤ «نقلاً عن ابن حيان» .

لألفونس السادس ، فقال رسول ألفونس : «إن كنت تريد أن تخلط مع هذه المعاهدة استعانة بـــه- و يقصد ألفونس السادس - على استعادة شيء من بلادك التي عند ابن عباد فهو يجد لك فيها وجهته هذا . » فذكر الأمير عبدالله بأنه أجابه بقوله : « أنني لا أعين على مسلم أحدا و لكن الذي دعاني إلى هذه المعاهدة الدفاع عن أهل بلدي و أهـل ملتي ، فإن وفيتم فهو المراد الذي قصدناه . »(١٦٠) و ذكر الأمير عبدالله أنـــه أدرك أن وراء ذلك العرض خطة دنيئة يخطط لها ألفونس السادس ، و هـــي خلق الفتنة بينه و بين ابن عبـاد و إيجاد سبب لابتزازه - أي الأمير عبدالله - و التجرؤ عليه لطلب المزيد من أمواله ليستخدمها في إضعاف دولة المعتمد بن عباد و من ثمَّ الالتفات إلى دولته غرناطة بغرض الاستيلاء عليها . و بذلك يتضح أن الدافع في رفض الأمير عبدالله لذلك العرض ليس كما ذكر « و إنني لا أعين على مسلم أحدا ، » و لكن لإدراكه للنتائج التي سيسفر عنها ذلك العرض فيما بعد مما سيضر بمصلحته الشخصية .

اتصاف الأمير عبدالله بن بلقين بالغفلة في كثير من الأمور

و من الملاحظ على الأمير عبدالله من خلال كتابه *التبيان* أنه كان يتصف بالغفلة في كثير من الأمور و التي تحتاج إلى فطنة و بعد نظر مما كان سببا في وقوعه في كثير من الأخطاء التي اعترف بها الأمير عبدالله معللاً ذلك بأن حـــرص الإنسان و اجتهاده إذا لم يصاحبه توفيق من الله كان سببا في إيقاعه في الخطأ مستشهدا بهذا البيت على صحة ما ذكره :

إذا لم يكن عونا من الله للفتى   فأكثر ما يجني عليه اجتهاده (١٦١)

و اتخذ من حادثة إقامة الحصون و المعاقل حول غرناطة بغرض حمايتها مثالاً على ذلك ، حيث ذكر أنه وجّه جُل اهتمامه إلى إقامة هذه الحصون و المعاقل لحمايتها ، و ذلك بعد أن خاف عاقبة الفتن وخصوصا من يهود الليسانة ، و ذلك بعد أن فرض عليهم مبالغ

---

(١٦٠) ابن بسام، *الذخيرة*، ١٨٠ - ١٨١ «نقلاً عن ابن حيان».

(١٦١) ابن بسام، *الذخيرة*، ١٣٤ ، أتته الرزايا عن طريق الفوائد عجز بيت لأبي الفراس، *ديوانه* (عمان: مكتبة الأقصى، ١٩٨١م)، ٩٢. أما صدر البيت فهو : إذا كان غير الله للمرء عدة ، أما البيت الذي في المتن فورد غير منسوب في *التمثيل و المحاضرة* . ابن بسام ، *الذخيرة* ، ١ : ٣ : ١٥٨ .

كثيرة من الذهب يؤدونها مقابل حمايتهم ، فأسند مهمة حماية هذه الثغور و الحصون إلى قبيلة زناتة و أشرك معها قبيلة صنهاجة كمساعد لها في هذه المهمة . فكان ذلك - كما يذكر الأمير عبدالله- سببا في تحريك الشر ، حيث أدى ذلك إلى عصيان قبيلة زناتة احتجاجا على إشراكهم مع قبيلة صنهاجة في حماية الثغور إذ اعتبروا ذلك العمل حطّا لقدرهم لما يرونه من أن قبيلة صنهاجة أقل منهم اجتماعيا ، فساءت ظنونهم بالأمير عبدالله ، وخرجوا عن طاعته فكانوا يعتذرون عن كل خدمة تطلب منهم ، ومع أن الأمير عبدالله كان يدرك أن من مميزات الرجل الناجح أن لا يحسن الظن بكل من يعرفه أو يتعامل معه من الناس و ذلك ما عبر عنه بقوله : « و كذلك العاقل لا يحب أن يظن بالناس ظنه بنفسه ، ولا يعمل حسابه وحده ، فليس كل الناس على مذهبك و لا هواهم مطابق هواك . »(١٦٢) إلا أننا نجد أنه أسند مهمة إخماد فتنة قبيلة زناته و إخراج زعمائها والمحرضين عليها من مدينة غرناطة إلى أحد عبيده و هو لبيب الخصي الذي تدرج عنده في المناصب حتى وصل إلى الوزارة ، واضعا كل ثقته فيه لمجرد أنه قام على تربيته ، و لم يسندها إلى ذوي الخبرة والحكمة من رجال دولته الموثوق بهم ، مما كان سببا في ازدياد إشعال نار الفتنة ، حيث قام لبيب الخصي بالانضمام إلى هؤلاء الثوار و حرضهم بالاحتجاج على أمر الأمير عبدالله بإخراج زعمائها من غرناطة و بين لهم أنه معهم و مساند لهم .

و من المآخذ على الأمير عبدالله والتي تظهر جبنه و تخاذله ، ذلك الموقف الذي وقفه أمام أعداء الإسلام النصارى ممثلين في ألفونس السادس ملك قشتالة عند ما حاصر طليطلة ، حيث إن الأمير عبدالله لم يحرك ساكنا تجاه ذلك الحدث ، فلم يعمل على مساعدة أهلها و مد يد العون لهم ، بل وقف موقفا سلبيا من ذلك الحدث و كأن الأمر لا يعنيه ، مع أنه كان يدرك تماما أن أطماع ألفونس ستمتد إلى ممالك الأندلس واحدة تلو الأخرى ، بعد إضعافهم بالجزية عاما بعد عام و يعنف عليهم بما شاء من أصناف التعدي إلى أن تضعف ، و هذا ما صرح به الأمير عبدالله نفسه .(١٦٣) فكان لذلك الموقف المتخاذل من قبله و من قبل معظم أمراء دول الطوائف الأثر السيء في نفوس المؤرخين و الكتاب

(١٦٢) ابن بلقين، *التبيان*، ١٢٣ .

(١٦٣) ابن بلقين، *التبيان*، ١٢١ .

والشعراء من أبناء الأندلس ، حيث عبروا في كتاباتهم عن مدى اللوعة و الحسرة التي تكنها نفوسهم تجاه تصرف هـؤلاء الأمراء ، و منهم أبومروان بن حيان حيث عبر عن ذلك بقوله : «فاحتوى عليهم الجهل ، و اقتطعهم الزيف ، و أركستهم الذنوب ، ووصمتهم العيوب ، فليسوا في سبيل الرشد بأتقياء ، و لا على معاني الغي بأقوياء ، شاة من الناس هامل ، يعللون نفوسهم بالباطل ، من أول الدلائل على فرط جهلهم و اعتزازهم بزمانهم ، وإبعادهم عن طاعة خالقهم ، و رفضهم وصية رسوله و نبيهم عليه السلام و ذهولهم في النظر عن عاقبة أمرهم ، و غفلتهم عن سد ثغورهم حتى لظل عدوهم الساعي لإطفاء نورهم ينبجح عراض ديارهم و يستقري بسائط بقاعهم ، يقطع كل يوم طرف و يبيد أمة .»[١٦٤] كما انتقدهم الشاعر السميسري بقوله :

ناد الملوك و قل لهم ... ماذا الذي أحدثتم
أسلمتم الإسلام في ... أسر العدو و قعدتم
وجب القيام عليكم ... إذا بإنصاري قمتم
لا تنكروا شق العصا ... فعصا النبي شققتم[١٦٥]

كما كان للسياسة التي سار عليها ملوك الطوائف بما فيهم الأمير عبدالله بن بلقين ، والتي ظهرت لنا من خلال الحوادث التي مرّت بدولة الأمير عبدالله ، و التي قامت على التواطىء و التخاذل أمام ألفونس السادس مثار سخرية و انتقاد من قبل شعراء عصرهم ، حيث عبر عن ذلك الشاعر أبو طالب بن عبد الجبار[١٦٦] المعروف بالمتنبي الأندلسي بقوله :

---

(١٦٤) ابن بسام ، *الذخيرة* (نقلاً عن ابن حيان)، ٣ :١ : ١٨٨ .

(١٦٥) المقري ، *نفح الطيب* ، ٤ : ٣٨٧ ؛ ابن بسام ، *الذخيرة* ، ٣٨٥ ؛ عبدالعزيز عتيق ، *الأدب العربي في الأندلس* ، ط٢ (بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧٦م) ، ٢٤٩ .

(١٦٦) هو أبو طالب بن عبدالجبار المعروف بالمتنبي الأندلسي ، من أهل جزيرة شُقر ، عاش في حدود (٥١٩هـ/ ١١٢٦م) ؛ عمادالدين إسماعيل أبو الفدا ، *المختصر في أخبار البشر* ، *تاريخ أبي الفدا* ، (بيروت : دار النشر والمعرفة ، د.ت .) ، ١ : ٤ : ١٢٠ ؛ ابن الخطيب ، *أعمال الأعلام* ، تحقيق ليفي بروفنسال (بيروت ، ١٩٥٦م) ، ٢ : ٨٤٩ . *مجلة الأندلس* ، (١٩٥٠م) . آنخل حبنثالث بالنثيا ، *تاريخ الفكر الأندلسي* ، نقله عن الأسبانية حسين مؤنس (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٥م) ، ٢٩٦ ؛ محمد رضا الشبيبي ، *أدب المغاربة و الأندلسيين في أصوله المصرية ونصوصه العربية* (القاهرة : معهد الدراسات الإسلامية ، ١٣٨٠ هـ/ ١٩٦٠ م) ، ٨٤ .

ثم تمادت هذه الطوائف تخلفهم في آلهم خوالف
و أتت بدين الجور و العدول إذ سلبت عقائل العقول
فأهملوا البلاد و العباد و عطلوا الثغور و الجهاد
و زادهم في الجهل و الخذلان أن ظاهروا عصابة الصلبان

كما تطلع أحد شعراء الأندلس إلى منقذ ينضمون تحت قيادته في معركة المصير حيث يقول:

ألا رجلاً له رأي أصيل به مما نحاذر نستجير
و يطعن بالقنا الخطار حتى يقول الرمح من هذا الخطير (١٦٧)

مساوىء حياته الشخصية

و في الغالب أن الأمير عبدالله لم يكن مستقيما في حياته الشخصية، حيث يتضح ذلك من رده على ما اتهمه بالفسق و الفساد و تبذير الأموال من أبناء عمومته و كبار رجال دولته المعارضين له فجاء رده اعترافا صريحا على ما ارتكبه من تصرفات سيئة و أعمال مشينة، حيث قال مخاطبا إياهم: « ألست تعلم أيها الجاهل أن الملك لا ينتفع من المال إلا ما كان أوقارا، و هل استوجب الملك إلا بذلك» إلى أن يقول: « و هل المُلك و المال إلا للتزين والتجمل به و انتخاب الحسان منهم - و ربما يقصد بهم - الغلمان و المنادمين- منهم تليق به الكسوة السنية و المراكب الفارهة. » ثم يسترسل في اعترافه فيقول مدافعا عن ما اتهم به: «و أما منادمة الصبيان فإنه لا بد من استعمال شيء من الخمر- و التي قد تاب الله علينا منها (١٦٨) - فما للعقار (١٦٩) و الرّيار ؟ (١٧٠) ليس هذا مجلس حكم فيتخير

---

(١٦٧) عتيق، *الأدب العربي في الأندلس*، ٣٢٨ .

(١٦٨) ابن بلقين، *التبيان*، ٢٠٢ ، من الأرجح أنه تاب عن تعاطي الخمر عندما عزل و نفي إلى مدينة أغمات .

(١٦٩) العقار و المعاقرة هو الإدمان على شرب الخمر ، و سميت عقارا لأن أصحابها يعاقرونها أي يلازمونها ؛ ابن منظور، *لسان العرب*، ٢ : ٨٤٠ .

(١٧٠) الريار : هو الهزال ؛ ابن منظور ، *لسان العرب*، ١ : ١٢٦٧ .

له ذوو الأسنان و لا وضع لتدبير رأي فيشاور فيه أهل العلم ، و لا ميدان حرب فيدعى إليه أنجاد الفرسان ، و لكل و قت حُكْم ، ومن استعمل فيه غير شاكلته فقد جهل ، لم نكن مع هذا نأخذ معهم في جد ، و لا نمكنهم من أمر ، و لا ننهضهم إلى غير طريقتهم ، والمستعملون لخدمة الدولة مشهورون ، ممن له حنكة و دربة و الخديم لا يكون نديما ، كيف تصول اليوم على من اطلع على عوراتك البارحة إذ السكر عورة ، أم كيف تأمر بخدمة الجندية و الشدة عليه في الخروج من تعاطى معك الكأس و كثر المزاح و العربدة ثم تطلبه لخدمتك فتجده عشولاً ، [١٧١] عما يصلحك مشغولاً . [١٧٢]

و مما يزيد الحال سوءا أن الأمير عبدالله كان يرى أن هذه التصرفات لا عيب فيها و لا نقيصة ما دام أنه ليس بها ضرر على الملك أو المملكة ، حيث عبر عن ذلك بقوله : «وإنك تتبعت ما لا عار فيه على الملك و لا نقصان على المملكة ، من راحة تختلس عند الفراغ من الشغل كي تعقب نشاطا و عما دفعنا إليه تسلية فقد قالت الحكماء « ترك اللذات يُعْقب البرده ، »[١٧٣] و يؤثر في الجلد أدواء مُنْكرة ، و قيل إذا لم يكن للمرء على البقاء مقدرة ، فليتمتع ، فإن ترك ذلك للنفوس . »[١٧٤] و أما رده على ما اتهمه بحبه للمال والتفاني في جمعه حيث كان الأمير عبدالله يمتلك ثروة طائلة منه ، و التي قد يخالطها شيء من الشبهات بدليل ما ذكره عندما تم تسليم نفسه ليوسف بن تاشفين زعيم المرابطين واستيلاء ابن تاشفين على أمواله بقوله : « و لا خير في الغرر بمال لا أدري إن بقي معي ، مع اختلاطه و كثرة شبهاته . »[١٧٥] و ربما يقصد الأمير عبدالله بالشبهة هي الضرائب التي كان يلزم بها أهالي غرناطة بدفعها له و هي الطريقة المتبعة عند معظم ملوك الطوائف . و قد أشار إليها ابن حزم و هو من أعظم مفكري عصر الطوائف بالنقد حينما ذكر استبداد أمراء الطوائف في تدبير شؤون الرعية بقوله : « و عمدة ذلك أن كل مدبر مدينة أو حصن في

---

(١٧١) عشولاً : العاشل هو المتخمن الذي يضن فيصيب ؛ ابن منظور ، *لسان العرب* ، ٢ : ٨٨٧ .

(١٧٢) ابن بلقين ، *التبيان* ، ٢٠٣ .

(١٧٣) البردة : الضعف و الفتور ، ابن منظور ، *لسان العرب* ، ٢ : ١٩٠ ؛ ابن بلقين ، *التبيان* ، ٢٠١ .

(١٧٤) ابن بلقين ، *التبيان* ، ٢٠١ .

(١٧٥) ابن بلقين ، *التبيان* ، ١٥٤ .

شيء من أندلسنا محارب لله تعالى و لرسوله و ساع في الأرض بفساد ، و الذي ترونه عيانا من شنهم الغارات على أموال المسلمين من الرعية التي تكون من ملك من ضارهم وإباحتهم لجندهم قطع الطريق على الجهة التي يقضون على أهلها ، ضاربون المكوس والجزية على رقاب المسلمين ، مسلطون لليهود على قوارع طرق المسلمين في أخذ الجزية والضريبة من أهل الإسلام » إلى قوله : « غرضهم فيها استدامة نفاذ أمرهم و نهيهم ، »[١٧٦] وكذلك قوله : «أما اليوم فإن الجزية على رؤوس المسلمين يسمونها بالقطيعة و يؤدونها مشاهرة و ضريبة على أموالهم من الغنم و البقر و الدواب و النحل» إلى قوله : « و قبالا ، ما يؤدي على كل ما يباع في الأسواق على إباحة بيع الخمر من المسلمين في البلاد ، هذا كل ما يقبضه المتغلبون اليوم، و هذا هو هتك الأستار و نقض شعار الإسلام و حل عراه عروة عروة . »[١٧٧]

فلو تساءلنا عن حقيقة موقفه من حبه للثروة و جمع الأموال ، و ما اتهم به من تبذير وإسراف في إنفاقها و ما نفاه عن نفسه من تلك التهم مبديا زهده و قناعته في هذه الدنيا ، وذلك عندما تحدث عن النفس البشرية و ما طبعت عليه من حب لجمع الدنيا و التمتع بملذاتها حيث ينكر ذلك و يبين أن الإنسان مسؤول أمام الله عن تصرفه ، منهي عن الإسراف في حياته و أن تلك المسؤولية تشمل جميع تصرفاته في الدنيا ما عدا طعاما يسد جوعه ، وثوبا يستر عورته ، و بيتا يكنّه عن الشمس ، فهو يحث في ذلك على الاعتدال و القناعة والزهد، و يرى أنها من صفات الرجل اللبيب الفطن و ذلك في قوله : « فحقيق على اللبيب أن يزهد فيه - أي المال - لو آلت حاله إلى السلامة بعد ذهابه ، ولا عليه ولا له ، فكيف و هو قد أيقن بالفناء و بعده الحساب الجنة و النار . »[١٧٨] و هنا يجب أن نتساءل هل القناعة و الزهد في الثروة فلسفة ثابتة في حياة الأمير عبدالله و هل هي مبدأ ثابت عنده ، أم أنها فلسفة أملتها عليه الظروف السياسية الحرجة التي مرّبها ، و ذلك عندما

---

(١٧٦) انظر : *مجموعة رسائل ابن حزم الرد على ابن التغريلة اليهودي و رسائل أخرى*، ١٣٩ ، ١٨٥ .

(١٧٧) راجع أقوال ابن حزم و التي نشرها بلاثيوس في *مجلة الأندلس* (١٩٣٤م)، ٣٧ ؛ عنان، *دول الطوائف*، ٤٢٢ .

(١٧٨) ابن بلقين، *التبيان* ، ١٩٦ .

عزل عن ملكه و نُفي إلى مدينة أغمات جنوب المغرب ؟ إننا لو تتبعنا حياته من خلال ما ذكره في كتابه *التبيان* لوجدنا أن ما يدعيه من القناعة و الزهد ليست مبدأ ثابتا لديه عمل به في حياته الخاصة عندما كان في أوج عزه في ملكه ، فقد نوافقه على ماردّ به على من اتهمه بحب المال و التفاني في جمعه ، حيث ذكر أن المال شيء ضروري لبناء الدولة و دفع أعدائها و كسب محبة الجند فيها و أن الملك لا ينتفع من المال إلا ما كان أوقارا و قوله : « هل استوجب الملك إلا بذلك ، » فهذا شيء لا غبار عليه إذ أن المال فعلاً شيء ضروري للدولة و مستلزم واجب من مستلزمات بقائها و حمايتها . و أما ما ادعاه من الزهد والقناعة في الدنيا فقد كان ذلك نتيجة لتلك الظروف السياسية القاسية التي مر بها بدليل رده على من اتهمه بالتبذير بقوله : « و هل المُلك و المال إلا للتزين و التجمل وانتخاب الحسان منهم - و ربما يقصد الغلمان و الندماء - ممن تليق به الكسوة السنية والمراكب الفارهة . »[١٧٩] و كذلك ما عبر عنه بقوله محاولاً تخفيف آثار تلك المأساة القاسية التي حلت به : « و أجدني في كثرة المال بعد تملكي عليه ذهابه ، و أزهد مني فيه قبل اكتسابه ، مع شفوف الحال إذ ذاك على ما هي عليه الآن ، و كذلك شأني كله في كل ما أدركته قبل من الأمر و النهي ، و اكتساب الذخائر ، و التأنق في المطاعم و الملابس و المراكب والمباني ، و ما شاكل من الأحوال الرفيعة التي نشأنا عليها ، حتى لم يبق من ذلك ما تتمناه النفس . » فهذا ينفي عنه صفة الزهد أثناء حكمه . و أن ما ذكره عن الزهد والقناعة عندما تحدث عن النفس البشرية ما هو إلا فلسفة أملتها عليه الظروف السياسية التي مرّ بها .

الخاتمة

و بذلك فلعلنا قد وفقنا في إلقاء شيء من الضوء على تلك الشخصية المهمة التي ظهرت في تلك الحقبة المظلمة من تاريخ الدولة الأموية في الأندلس ، و التي عُرفت بعصر ملوك الطوائف ، حيث كادت أحداثه السياسية و الاجتماعية السيئة أن تعصف بالدولة الإسلامية في الأندلس لولا عناية الله ثم تدخل المرابطين .

---

(١٧٩) ابن بلقين ، *التبيان* ، ٢٠٣ .

تلك هي شخصية الأمير عبدالله بن بلقين بن زيري، حاكم مدينة غرناطة و ثالث أمراء بني زيري بالأندلس، و الذي كان له دور فعال و بارز في أحداث ذلك العصر .

و لقد كشف لنا كتاب *التبيان* الذي ألفه الأمير عبدالله في منفاه بمدينة أغمات عن جانب كبير من السمات العامة التي اتصفت بها شخصيته، و ذلك من خلال الأحداث السياسية و الاجتماعية التي مرَّ بها الأمير عبدالله أثناء حكمه و تصرفه تجاه تلك الأحداث و ما ذكره من مسوغات لتلك التصرفات حاول بها أن ينفي عنه ما اتهم به من تخاذل وتقصير تجاه تلك الأحداث . مما أخذه عليه بعض المؤرخين و الأدباء و الشعراء ، كما حاولنا التثبت من حقيقة الأحداث التاريخية و مدى صحة ما ذكره الأمير عبدالله عنها ، وتوضح ما غمض منها و ذلك من خلال مقارنة ما ذكره الأمير في كتابه و ما ذكره المؤرخون والأدباء و الشعراء عنها .

عكس لنا كتاب *التبيان* أن الأمير عبدالله كان صاحب شخصية أدبية و أنه صاحب ثقافة عالية و اطلاع واسع على عدد من العلوم الدينية إلى جانب العلوم الأخرى كالفلسفة و الفلك و التنجيم، إضافة إلى مهاراته الأدبية في التأليف و قرض الشعر إلى جانب ثقافته الدينية الواسعة ، كما أنه يمتلك أسلوبا جيدا في المناقشة و إبداء الرأي ، كما كشف لنا كتاب *التبيان* مثالب في شخصية الأمير عبدالله بن بلقين منها تخاذله و تهاونه في بعض الأمور التي يجب أن تعالج بشيء من الحزم و الشدة ، و كذلك عدم توانيه في طرق أي باب يرى أن فيه فائدة لمصلحته الشخصية كاستعماله الرشوة و محاباته للفقهاء للحكم في صالحه إلى جانب صفة الخوف و الذعر التي صرح بها الأمير عبدالله نفسه ، إلى جانب مغالطته في عدد من الأمور و عدم صراحته في تبرير تصرفه تجاهها ، ولعل أبرز صفة للأمير عبدالله هي الخيانة لدينه وأمته و التي ظهرت بشكل واضح من خلال تواطئه وتخاذله مع ألفونس السادس ملك قشتالة في محاولات يائسة للحفاظ على ملكه و بقاء سلطته .

The Character of Emir Abdullah b. Bulugueen through His Autobiography *al-Tibyan* A.H. 469 - 483 / 1077 - 1090

Noorah M. Al-Tuwaijry
Assistant Professor, Department of History
Girls' College of Education, Riyadh, Saudi Arabia

Abstract. Emir Abdullah was the last of Banu Ziri, the rulers of Granada. He was deposed by the Almoravid Yusuf Ibn Yashufeen in Muslim Spain and was taken to Morocco. During his exile Emir Abdullah wrote what might be considered an autobiography. The book contains Emir Abdullah's record of his family, several aspects of his personal life and a background of some of the crucial decisions he made as a monarch which had a far-reaching impact on the course of events during his rule and thereafter. The reader of the autobiography will absorbed by the vivid, candid and somewhat detailed account it offers.

In this paper it is worthwhile, from a historical perspective, to use the book as a basis of depicting a few facets of the somewhat controversial character of the Emir. Other sources, are of course, made use of. Needless to say, judgements, decisions, inferences, and considerations that pertain to the personality of Emir Abdullah are those of a historian's interpretation of what the Emir's autobiography provides; and they must be taken within such a context and within the limitations it imposes. It is, however, acknowleged that decisions and positions taken by persons of high offices depend on factors most often beyond the reach of an historian.